عملكة افقر البرية عبد المجيد
خادم تربة الاعظمية ووكيلر
الخطابة فيها

# هذا كتاب منهاج العابدين للشيخ الغزالى رحمة الله ونفعنا به

بسم الله الرحمن الرحيم

املى علينا الشيخ الامام السعيد حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالى
رحمة الله عليه هذا المختصر وهو اخر كتاب صنفه ولم يستمله الا
خواص اصحابه واوله الحمد لله الملك الحليم الجواد الكريم العزيز الرحيم
الذى فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامر فى الدارين بحكمته
وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين والدليل
لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى اله الابرار الطيبين اجمعين
وسلم وعظم الى يوم الدين اعلموا اخوانى انى اسعدكم الله وايانى
بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العمد وبضاعة الاولياء
وطريق الاقوياء وقسم لاعزة ومقصد ذوى الهمة وشعار الكرام وحرفة
الرجال واختيار ذوى البصائر وهى سبيل السعادة ومنهاج الجنة
قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها الى
مقاصدها التى هى امانى سالكيها فاذا هى طريق وعر وسبيل صعب
كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات
كثيرة العوايق والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع
عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا بجباه تكون لانها طريق الجنة فيصير
تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره
وان النار حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم الا وان الجنة حزنة

بربوه الاوان النار سهل بسهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف
والزمان صعب وامر الدين مزاحم والقوى قليل والشغل كثير والعمر
قصير وفى العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد
والطاعة هى الزاد فلا بد منها وهى فائته فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز
وسعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك
مع الهالكين فصار هذا الخطب اذن والله معظلا والخطر عظيما ولذلك
عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز
من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم لاعز الدين
اصطفاهم الله تعالى لمعرفته ومحبته وسدده بتوفيقه وعصمته ثم اولاهم
بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من
الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفه نظرنا
فانعنا النظر فى كيفية قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة
والآلة والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن توفيق الله تعالى فى
سلامته ولا ينقطع فى عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله
فصنفنا فى قطع هذه الطريق وسلوكها كتابا كما حيا علوم الدين والقربة
الى الله عز وجل وعزز ذلك واحتوت على فائق من العلوم اعتاصت
على افهام العامة فقد حوافيها وخاضوا فيما لم يحسنوا فاى كلام افصح
من كلام رب العالمين وقد قالوا اساطير الاولين المرتسم قول زين
العابدين على بن الحسين بن على رضى الله عنهم اجمعين او تقول

ويا رب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا

ولاستخل رجال مسلمون دمى يرون افتح مما يأتونه حسنا
واقتضت الحال عند ذوى الدين النظر الى كافة خلق الله عز وجل بعين
الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقنى لتصنيف
كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقرائته الانتفاع فاجابنى الذى يجيب المضطر
اذا دعاه واطلعنى بفضله على اسرار ذلك والهمنى فيه ترتيبا عجيبا
لم اذكره فى المصنفات التى تقدمت فى اسرار معاملات الدين
وهو الذى انا واصف فاقول وبالله التوفيق ان اول ما يتنبه
العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها يكون بخطرة سماوية من الله
تعالى وتوفيق خاص الهى وهو المعنى بقوله أفمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلى الله عليه
وسلم فقال ان النور اذا دخل العبد انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله
هل لذلك من علامة يعرف بها فقال التجافى عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد
اول كل شئ انى اجذت منعما على بضروب من النعم كالخلق والقدرة
والعقل والنطق وسائر المعانى الشريفه واللذات وما ينصرف عنى
من ضروب المضار والآفات وان لهذا منعما يطالبنى بشكره وخدمته
فان اغفلت ذلك فيزيل عنى نعمته ويذيقنى بأسه ونقمته
وقد بعث الى رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة
عن مقدور البشر واخبرنى بان لى ربا جل ذكره قادرا عالما حيا
متكلما يأمرنى وينهانى وانه قادر على ان يعاقبنى ان عصيته ويثيبنى
ان اطعته عالم باسرارى وما يختلج فى افكارى وقد وعد واوعد

وامر

وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة
لذلك في العقل باول البديهة فيخاف على نفسه عنده ويفزع هذا
خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة
ويزعجه الى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق وينظر
فلا يبقى له قرار في طريق الخلاص وحصول الامان لما وقع بقلبه او سمعه
فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة
على الصانع ليحصل له العلم اليقين بما هو الغيب ويعلم ان له ربا كلفه ولم
ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم
والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فيأخذ في قطعها من غير بد بحس
النظر في الدلائل ووفور التأمل والتعلم والسؤال من علماء الاخرة الذين
هم ادلاء الطريق وسرج الامة وقادة الائمة والاستعاذة منهم
واستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق
الله تعالى فيحصل له العلم اليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا لا شريك
له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه شكره وامره
بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب المعاصي
وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى
عنه فعند ذلك بعثته هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمر للخدمة
والاقبال على العبادة لهذا المولى المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه
بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته
بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه المعرفة بالله تعالى يعلم ما يلزمه من
الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض

انبعث ليأخذ فى العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات
وذنوب وهذا حال الاكثرين من الناس فيقول كيف اقبل على العبادة
وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لى ذنوبى
ويخلصنى من اسرها وانظهر من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة
فتستقبله ههنا عقبة التوبة فيحتاج الى محالة الى قطعها ليصل الى ما هو
المقصود منها فيأخذ فى ذلك باقامة التوبة وحقوقها وشرائطها الى
ان يقطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حثّ الى
العبادة ليأخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة به كل واحد منها يعوقه
عما قصده من العبادة بضرب من التعويق فتأمّل فاذا هى اربع الدنيا والخلق
والشيطان والنفس فاحتاج الى محالة الى دفع هذه العوائق وازاحتها والّا فلا
يتأتى له امر من العبادة فاستقبلته ههنا عقبة العوائق فيحتاج
الى قطعها باربعة امور التجرّد عن الدنيا والتفرّد عن الخلق والمحاربة مع
الشيطان والمخالفة مع النفس واما النفس فاشدها اذ لا يمكنها التجرّد
عنها ولا ان يقهرها بمرّة ويقمعها كالشيطان اذ هى المطيّة والآلة ولا
مطمع ايضا فى موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال عليها
اذ هى مجبولة على ضدّ الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذن الى ان يلجمها
بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها فى المصالح
والمراشد ويمنعها عن المهالك والمفاسد فيأخذ فى قطع هذه العقبة
ويستعين بالله عزّ وجلّ على ذلك فلمّا فرغ من قطعها رجع الى
قصد العبادة فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من
العبادة وتصدّه عن التفرّغ لذلك كما ينبغى فتأمّل فاذا هى اربعة الرزق

تطالبه النفس به وتقول لابدّ لی من رزق و قوامٍ و قد تجرّدت عن الدّنیا
وتفرّدت عن الخلق ایضا فمن این یکون قوامی ورزقی والثّانی الاخطار
من کلّ شیٔ یخافه او یرجوه او یریده او یکرهه ولا یدری صلاحه فی ذلک
او فساده فانّ عواقب الامور مبهمة فیشتغل قلبه بها بانّه ربّما یقع فی فساد
او مهلکة. الثّالث الشّدائد والمصائب تنصبّ علیه من کلّ جانب
لاسیّما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشّیطان ومضادّة النّفس فکم
غصّة یتجرّعها وکم شدّة تستقبله وکم همّ وحزن یعترضه ومصیبة تتلقّاه
الرّابع انواع القضاء من الله تعالی بالحلو والمرّ یرد علیه حالا فحالا والنّفس
تنازع الی السّخط وتبادر الی الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض
الاربعة فاحتاج الی قطعها باربعة بالتّوکّل علی الله تعالی فی موضع الرّزق والتّفویض
فی موضع الخطر والصّبر عند نزول الشّدائد والرّضا عند نزول القضاء فاخذ
فی قطع هذه العقبة باذن الله تعالی وحسن تاییده فلمّا فرغ من قطعها
عاد الی قصد العبادة فنظر فاذا النّفس فاترة کسلی لا تنشط ولا
تنبعث لخیر کما یحقّ وینبغی وانّما میلها ابدا الی غفلة ودعة وراحة وبطالة
بل الی شرّ فضول وبلیّة وجهالة فاحتاج معها ههنا الی سائق یسوقها
الی الخیر والطّاعة وینشّطها فیه وزاجر یزجرها عن الشّر والمعصیة
ویفترها عنها وهما الرّجاء والخوف فالرّجاء فی عظیم ثواب الله تعالی
وحسن ما وعد من انواع الکرامة وتذکّر ذلک سائق یسوقها فیبعثها
علی الطّاعة ویحرّکها لذلک وینشّطها والخوف من الیم عقاب الله عزّ وجلّ
وصعوبة ما اوعد من انواع العقوبة والاهانة زاجر یزجرها عن
المعصیة ویجبّنها ویفترّها عن ذلک فهذه عقبة البواعث استقبلته

ههنا فاحتاج الى قطعها بهذين الذكرين فاخذ فيها بحسن توفيق الله عز
وجل فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عايقا
ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط فى العبادة فاقامها وعانقها
بلزام الشوق والرغبة فادامها فنظر فاذا يبدو لهذه العبادة التى احتمل
فيها كل ذلك افتات عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يراى بطاعته الناس
فيفسدها واخرى يستعظم ذلك ويكرم نفسه فيعجب بنفسه فيحبط
العبادة عليه ويتلفها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها
بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ فى قطع
هذه العقبة باذن الله تعالى بجد واحتياط ويتقط بحسن عصمة الجبار
وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت العبادة كما يحق وينبغى
وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق فى بحور من الله وايادية
من كثرة ما انعم عليه من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة
وخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع فى الكفران فينحط عن تلك
المرتبة الرفيعة التى هى مرتبة الحذم الخالصين لله عز وجل وتزول
عنه النعم الكريمة من ضروب انواع الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه
فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ فيها فقطعها بما امكنه
من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من هذه العقبة ونزل
فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلا حتى وقع
فى سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم وقع فى رياض
الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب
ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم فى هذه الحالة ويتقلب فى

طيبها

طيبها ايام بقائه وبقيته عمر يشخص فى الدنيا وقلبه فى العقبى ينتظر
البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا فحن الى
الموت واستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين
يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض
غير غضبان فينقلونه فى طيبه النفس وتمام البشر والانس من هذه
الدنيا الفانية المفنية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى
لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما وملكا عظيما ويلقى هنالك من سيده
الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من اللطف والعطف والترحيب والتقريب
والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين كل يوم فى زيادة الى
ابد الابدين فيالها من سعادة عظيمة ويالها من دولة عالية ويالله من
عيد مسعود وامر مغبوط وشان محمود نسأل الله البار الرحيم بمحمد
ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة وما ذلك على الله بعزيز
وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا الامر الا وصف او سماع او تمن
بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمنا من العلم علينا حجة يوم القيمة وان
يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين هذا هو الترتيب الذى الهمنى مولاى فى طريق العباد
فاعلم الآن ان الحاصل من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم
الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوايق الرابعة عقبة
العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة القوادح
السابعة عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين
الى الجنة ونحن الآن نتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ يشتمل

على النكت المقصودة من هذا الشان بشرح موجز في باب مفرد ان شاء الله تعالى
والله سبحانه ولي التوفيق والتسديد بيده الحول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم الباب الاول في العقبة الاولى وهي العلم فاقول
وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم
فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران
لاجلها كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين وو عظ
الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلها انزلت الكتب وارسلت الرسل
بل لاجلها خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق فتامل ايتين من
كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير
وان الله قد احاط بكل شئ علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم لا سيما
علم التوحيد والاية الثانية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين
هما المقصود من خلق الله تعالى في الدارين يحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما
ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور باطل
لا خير فيه ولا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين
وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي
على امتي وقال صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة
صيامها وقيامها وقال عليه السلام الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى
يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان لا شئ اشرف جوهرا من العلم
ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان

العلم

العلم بمنزلة الشجر والعبادة بمنزلة الثمرة ومن ثمراتها فالتعرف للشجرة المثمرة
اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذن للعبد من العبادة
ليسلم شرف العلم ولا بد للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب
ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة
واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقر انه لا بد للعبد فيهما
جميعا فالعلم اولى بالتقديم للمحالة فانه الاصل والدليل لذلك قال صلى
الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا
يلزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما التسلم لك العبادة وليتحصل
فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه
وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما يعتقد في صفاته
شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فيكون عبادتك هباء منثورا وقد
شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب
الخوف من كتاب احياء علوم الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات
الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي ليترك
ذلك فكيف يقوم بطاعة لا يعرف ما هي وكيف يجب ان يفعل ام كيف يجتنب
معاصي لا تعلم انها معاص لئلا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالـ
لطهارة والصلوة والصوم وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها حتى
يقيمها فربما انت مقيم على شئ سنيء وارتكابا مما يفسد عليك طهارتك
وصلوتك او تخرجها من كونها واقعة على وفاق السنة وانت لا تشعر
بذلك وربما يعترض لك شئ ولا تجد من تسأله عن ذلك وانت ما تعلمت
ثم مدار هذا الشان ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب

ان تعلمها فی التوکل والتفویض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص وغیر ذلك
مما سیاتی ذکره ان شاء الله تعالی ویجب ان تعلم مساویها التی هی اضداد هذه
الامور کالسخط والامل والریاء والکبر لیجتنب ذلك فان هذه فرائض نص
الله تعالی علی الامر بها والنهی عن اضدادها فی کتابه العزیز وعلی لسان نبیه محمد
صلی الله علیه وسلم کما قال تعالی وعلی الله فتوکلوا ان کنتم مؤمنین واشکروا
لله ان کنتم ایاه تعبدون واصبر وما صبرك الا بالله واصبروا ان
الله مع الصابرین وقوله تعالی وتبتل الیه تبتیلا ای اخلص الیه اخلاصا
ونحو ذلك من الایات کما نص علی الامر بالصلوة والصوم فقال اقم الصلوة لدلوك
الصوم والمصلوة وترکت هذه الفرائض والامر بها من رب واحد فی کتاب
واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شیئا منها فصرت تفتوی بمن اصبح بعاجل
حظه مشغوفا حتی صیر المعروف منکرا والمنکر معروفا ومن اهمل
العلوم التی سماها الله فی کتابه نورا وحکمة وهدی واقبل علی ما به یکتسب
الحرام فیکون مصیدة للحطام اما تخاف ایها المسترشد ان تکون مضیعا
لشیء من هذه الواجبات بل لاکثرها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم
النفل فتکون فی لاشیء وربما انت مصر علی معصیته من المعاصی التی
تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام وشراب او نوم تبتغی
به قربة الی الله تعالی فتکون فی لاشیء واشد من ذلك کله انك تکون فی
امر الامل والامل معصیته محضة فظنه بنیة خیر لجهلك بالفرق بینهما
او تقاربهما فی بعض الوجوه وکذلك تکون فی جزع وسخط فظنه تضرعا
وابتهالا الی الله عز وجل وتکون فی ریا محض وتحسبه حمدا لله سبحانه او دعوة
الناس الی الخیر فتاخذ تعد علی الله تعالی المعاصی بالطاعات وتحسب

الثواب العظيم فى موضع العقوبات فتكون فى غرور عظيم وغفلة
قبيحة وهذه والله معصيته جليلة للعالمين بغير علم مع ذلك
ان الاعمال الظاهرة علايق على المساعى الباطنة تصلحها وتفسدها فالاخلاص
والرياء والعجب وذكر المنة وغير فمن لم يعلم هذه المساعى الباطنة ووجه
تأثيرها فى العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها وحفظ العلم
عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته طاعات الظاهر والباطن
فلا يبقى فى يده الا الشقا والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان
العابد بغير علم يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى صفة العلم من كلامه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء والمعنى
بهذا والله اعلم ان احدى شقوتيه ان لا يعلم العلم ثم يشقى ويتعب
فى العبادة على خبط فما يكون له من ذلك الا العنا نعوذ بالله من علم
وعمل لا ينفع ولهذا عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين بالعلم
رضى الله عنهم خاصة من بين سائر اغناء الناس فان مدار امر العبودية
وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم وهذا يكون
نظرا ولى الابصار واهل التأييد والتوفيق فاذا بتيت لك بهذه الجملة
ان الطاعة لا تحصل للعبد ولا يسلم له الا بالعلم فيلزم اذن تقديمه فى شان
العبادة واما الخصلة الثانية التى توجب تقديم العلم ان العلم
النافع يثمر خشية الله ومهابته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وذلك لان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم
يعظمه حق تعظيمه وحرمته فضار العلم يثمر الطاعة كلها وتجرع عن

المعصيته كلها بتوفيق الله تعالى وليس وراء هذين للعبد مقصد في
عباده الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الاخرة أول
كل شئ والله ولي التوفيق بفضله ولعلك ان تقول قد ورد الخبر عن صاحب
الشرع صلوات الله وسلامه عليه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
فالعلم الذي طلبه فرض لازم واما الحد الذي لابد للعبد من تحصيله في امر
العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها فرض في الجملة ثلاثة علم التوحيد وعلم
السر اعني ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعه واما حد ما
يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما
تعرف به اصول الدين وهو ان تعلم الها عالما قادرا حيا متكلما سميعا
بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات
الحدث متفردا بالقدم عن كل محدث وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده
ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله تعالى وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة
ثم مسائل في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله تعالى
ما لم يأت به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع ادلة
التوحيد موجود اصلها في كتاب الله تعالى وقد ذكره شيوخنا رحمهم الله
في كتبهم التي صنفوها في اصل الديانات وعلى الجملة كل ما لا ناس الهلاك
مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذا هذا وبالله التوفيق
واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة موجبه ومناهيه حتى
يحصل لك تعظيم الله تعالى والنية والاخلاص وسلامة العمل وغايته
ذلك تأتي في اثناء هذا انشاء الله تعالى واما من علم الشريعه
فكل ما يتعين عليك في فرض فعله وجب معرفة لتوديه كالطهارة والصلوة

والصيام

والصيام فاما الحج والجهاد والزكوة ان تعين عليك فرضه وجب عليك عند
لتؤديها والا فلا هذا احد ما يلزم العبد تحصيله من العلم للمحالة وتحصيلها
فرضه بحيث لابد له من ذلك فان قلت هل يفترض على من علم التوحيد
ما انقض به جميع ملك الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض جميع البدع و
الزمهم حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية انما يتعين عليك ما
تصحح به اعتقادك فى اصول الدين لاغير وكذلك لا يتعين عليك معرفة
فروع علم التوحيد ودقايقه والاتيان به على جميع مسائله نعم ان وردت
عليك شبهة فى الدين تخاف ان تقدح فى اعتقادك فتعين عليك حل تلك
الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه داء محض
لادواء له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لم يفلح ابدا الا ان يتغمده الله
برحمته ولطفه ثم اعلم انه اذا كان فى كل قطر داع من دعاة اهل السنة
يحل الشبه ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفى قلوب اهل
الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك
لا تلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب القلب الا ما يفسد
عليك عبادتك فتجب معرفته لتحققه وما يلزمك فعله كالاخلاص
والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فتلزمك معرفته لتؤديه واما ما
سواه فلا وكذلك لا تلزمك معرفة سايرابواب الفقه من البيوع
والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات وانما كل ذلك فرض على
الكفاية فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر
الانسان من غير معلم فاعلم ان الاستاد فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل
وارو ح والله تعالى يفضل عين على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم

سبحانه وتعالى اعلم ان هذه العقبة التى هى عقبة العلم عقبة كؤود ولكن
ينالها المحبوب المقصود ونتعها كثير وعظمها شديد وخطرها عظيم
كم من معدل عنها فضل وكم من سلكها فزل وكم من تائهٍ فيها متحير وكم
من حائر منقطع وكم من سالك قطعها فى مدة يسيرة واخر متردد فيها
سبعين سنة والامر بيد الله عز وجل اما نفعها فعلى ما ذكرنا من شدة الحاجة
للعبد اليه ولنا ان العبادة عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روى
ان الله اوحى الى داود صلى الله عليه وسلم فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال
الهى وما العلم النافع قال ان تعرفنى جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى
على كل شئ فان هذا الذى تقربك الى وعن على رضى الله عنه انه قال ما
يسرنى ان لو متّ طفلا وادخلت الجنة ولم اكبر فلما عرفت ربى فان اعلم الناس
بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم فى الله صحبة واما شدته
فابذل نفسك فى الاخلاص فى طلب العلم وليكن الطلب طلب راغبٍ لا طلب
رواية واعلم ان الخطر عظيم فى طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ومجالس
به الامراء او يباهى به النظراء يتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة
قال ابو يزيد البسطامى رحمة الله عليه عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة
فما وجدت شيئا اشد على من العلم وخطره واياك ان تزين لك
الشيطان فيقول اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم فى العلم فتركه اولى
فلا تظنن ذلك فلقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما طلعت ليلة
المعراج على النار فرايت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا
من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو
ان رجلا عبد الله تعالى عبادة ملائكة السموات والارض بغير علم كان من الخاسرين

فتشمر

مستمر فی طلب العلم بالبحث والتلقین والتدریس واجتنب الکسل والملال
والافات فی حفظ العلم والعیاذ بالله تعالی ثم جملة الامر التی نظرت فی
دلائل صنع الله عز وجل وانعمت النظر علمت ان لنا الها قادرا عالما حیا مریدا سمیعا
بصیرا متکلما منزها عن حدوث الکلام والعلم والارادة مقدسا عن کل
نقص وآفة لا یوصف بصفات المحدثین ولا یجوز علیه ما یجوز علی المحدودین
لا یشبه شیئا من خلقه ولا یشبهه شئ ولا یتضمنه الاماکن والجهات ولا یحله
الحوادث والافات ونظرت فی معجزات الرسول واعلام نبوته فعلمت انه رسول
الله وامینه علی وحیه واعتقدت کما کان السلف یعتقدونه من ان الله یری
فی الاخرة لانه موجود ولیس فی جهة فهو غیر محدود وان القرآن کلام الله غیر
مخلوق لیس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة اذ لو کان کذلک لکان من
جملة المخلوقات وانه لا یکون فی الملک والملکوت فلتة خاطر ولا لقبه
ناظر الا بقضاء الله تعالی وقدره وارادته ومشیئته فمنه الخیر والشر والنفع والضر
والایمان والکفر وانه لا واجب علی الله تعالی لاحد من خلقه من اثابه فبفضله ومن
عاقبه فبعدله وما ورد علی لسان صاحب الشرع صلوات الله وسلامه علیه من امور
الاخرة کالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال المنکر والنکیر والصراط والمیزان
فهذه اصول ودین السلف رضی الله عنهم علی اعتقادها والتمسک بها ووقع علیها
الاجماع قبل نبوغ البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع فی الدین واتباع
الهوی بغیر دلیل ثم نظرت فی اعمال القلب والموجبات الباطنة والمناهی التی
تاتی فی هذا الکتاب لیحصل لک علمه ثم تعرفت جملة ما یحتاج الی استعماله کما
لطهارة والصلوة والصوم ونحوها فاذا فعلت فقد ادیت فرض الله تعالی
علیک الذی تعبدک به فی باب العلم ولقد صرت من علماء امة محمد الراسخین

فى العلم ان علت بعلك وافنيت على عمارة معادك وكنت عبدا عالما لله تعالى
على بصيرة غير جاهل ولا مغلب ولا غافل ولك الشرف العظيم ولك النعيم المقيم
والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراك وقضيت
حقها باذن الله تعالى والله سبحانه المسؤل ان يمدك واياى بحسن توفيقه وتيسيره
انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم **الباب الثانى**
**فى العقبة الثانية وهى عقبة التوبة** ثم عليك يا طالب العبادة وفقك
الله واياى بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان
شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع من
المشى الى طاعة الله تعالى والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة
فى الخيرات والنشاط الى الطاعات وان الاصرار على الذنوب يسود القلوب
فيجدها فى ظلمة وقساوة لا خلوص فيها ولا صفاء ولا لذة ولا حلاوة وان لم
يرحم الله فيستجر صاحبها الى الكفر والشقاوة فيا عجبا كيف يوفق الطاعة
من هو فى شوم وفسوق وكيف يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة
وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففى الخبر الصادق
المصدق رسول الله انه قال اذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن يخرج من
فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله تعالى فلا جرم لا يكاد يجد المصر على
العصيان توفيقا ولا يخف اركانه لعبادة وان اتفق فلا حلاوة معه ولا
صفوة وكل ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم
تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك مكبول قد كبلتك خطيئتك
فهذه هذه والثانى من الامرين انما يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فان
رب الدين لا يقبل البدينة وذلك ان التوبة عن المعاصى وارضاء الخصوم فرض
لازم

لانه وعامة العبادة التى تقصد هنا تفعل فكيف يقبل منك تبرعك و
الدين عليك حالا فقطه امر كيف تنزل لاجله الحلال والمباح وانت
مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثنى عليه
وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين
على المعصيته والله المستعان فان قلت فما معنى التوبه النصوح وحدها
وما ينبغى للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول امّا
التوبة فانها سعى من مساعى القلب وهى عند التحصيل فى قول العلماء تنزيه
القلب عن الذنب قال شيخنا فى حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق
مثله عنه منزلة لاصورة تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذن اربع
شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطّن قلبه وتجرّد عزمه
على انه لا يعود الى الذنب البتّه فاما ان ترك الذنب وفى نفسه انه
ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له
العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه والثانية ان يتوب من ذنب قد
سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب الا ترى انه
يصح القول بان النبى صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر لما سبق عنه
ذلك والثالثة ان الذى سبق يكون مثل ما يترك اختياره فى
المنزلة والدرجة لا فى الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفانى الذى سبق
منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لانه
اذا لم يخلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو
لا يقدر الان على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو

مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والغيمة
اذ مع ذلك معارض وان كان يضاهيها في الاثم في المنزلة والدرجة في
حق المدعى في حق كل واحد بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية
كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون
منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وساير ما مضى
من الذنوب التي هي عاجز عن امثالها اليوم في الصورة والرابعة
ان يكون اختيار ذلك تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه واليم
عقابه مجردا لا لرغبة دنياوية او رهبة من الناس او طلب ثناء او صيت
او ضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها
فاذا حصلت واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات
التوبة فتلك احدها ذكر غائلة قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة
الله عز وجل واليم عقابه وسخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثة
ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس لطمة
شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية
ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في
دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الله وعذابه فاذا واظبت على
هذه الاذكار وعاودتها انام الليل والنهار فانها ستملك على التوبة النصوح
من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله
عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر شيئا مما ذكرتم من شرائطها وشدد تم يقال
لما علم اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه تقع الندامة عن امور
في قلبه وهو يريد ان لا تكون ذلك التوبة مقدورة للعبد ما مؤونتها ثم

قد

قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين الناس
او ماله في النفقة فيها فان ذلك لا تكون توبة بلا ريب فعلت بذلك
ان في الخبر معنى لا تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله تعالى يخوف
عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين و
حالهم فانه اذا ذكروا الذكار الثلاثة التي هي مقدمات التوبة فندم فحملته
ندامته على ترك اختيار الذنب وبقي ندامته في قلبه في المستقبل تحمله
على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب التوبة وصفات التائب
سماه باسم التوبة فاعلم ذلك موفقا انشاء الله تعالى فان قلت كيف
يمكن للانسان ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير ام كبير كيف
وانبياء الله صلوات الله عليهم اجمعين الذين هم اشرف خلق الله تعالى
قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر
ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء ثم من
شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان يقع منه بسهو وخطأ فهو معفو
عنه بفضل الله تعالى وهذا هين علي من وفقه الله تعالى فان قلت
انما يمنعني من التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت
على التوبة فلا فائدة لذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن
اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب وانما
الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان
اتم ذلك فذاك المقصود وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها
وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الحديث الذي احدثته الآن
وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعنك خوف العود عن التوبة

فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولى التوفيق والهداية
هذه هذه واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب في الجملة
ثلاثة اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى عليك من صلوة او صوم او
كفارة او غيرها فتقضى ما امكن لك منها والثانى ذنوب بينك وبين
الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا ونحو ذلك فندم على ذلك
فتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين
العباد هذا اشكل واصعب وهى اقسام قد يكون فى المال او فى النفس او فى
العرض او فى الحرمة او فى الدين فاما ما كان فى المال فيجب ان تردّه عليك ان امكنك
وان عجزت عن ذلك لعدم او فقر فتستحلّ منه وان عجزت عن ذلك لغيبته
الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك
والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما
ما كان فى النفس فتمكن من القصاص او اولياؤه حتى يقتصّ منك او يعفو عنك
فتحلّ وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم
القيمة واما العرض فان اغتبته او بهتّه او شتمته فحقك ان تكذب
نفسك بين يدى من فعلت ذلك عنده وان تستحلّ من صاحبه ان
امكنك هذا اذا لم تخش من زيادة غيظه وهيج فتنة فاظهار ذلك او تجديده
فان خشيت فالرجوع الى الله ليرضيه عنك والاستغفار الكثير لصاحبه
واما الحرمة فان خنته فى اهله وولده او نحو فلا وجه للاستحلال والاظهار
لانه يولد فتنة وغيظا بل يتضرع الى الله تعالى ليرضيه عنك ويجعل له
خيرا كثيرا فى مقابلته فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما
فى الدين بان كفرته او بدّعته او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك

بين يدى من قلت ذلك لرواه تستحل من صاحبك انه امكنك فالبها لك الى الله
جدا والندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضا الخصوم
عملت ومالم يمكنك راجعت الله تعالى بالتضرع والصدق ليرضيهم عنك
فيكون ذلك فى مشيئة الله تعالى يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه
العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضى خصمه من خزانة فضله
ولاحكم فاعلم هذه حقيقة راشدا فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه
وبرأت القلب عن احتيار مثلها فى المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها
واه حصلت منك توبة القلب ولم يحصل قضا الفوائت وارضا الخصوم
فالتبعات لازمة وسائر الذنوب مغفورة ولهذا الباب شرح يطول فلا
يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من احيا علوم الدين اولا وكتاب
القربة الى الله تعالى تائبا وكتاب غاية القصوى ثالثا تجد فوائد كثيرة ورشحا
جما والذى ذكرناه ههنا هو الاصل الذى لا بد منه وبالله التوفيق فصل
ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم وضررها عظيم فقد
بلغنا عن الاستاذ ابى اسحق الاسفرانى رحمه الله انه قال دعوت الله تعالى
ثلثين سنة ان يرزقنى توبة نصوحا ثم تعجبت فى نفسى وقلت سبحان
الله حاجته دعوت الله فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الآن فرايت فيما
يرى النائم كان قائلا يقول لما تعجبت من ذلك اتدرى ما ذا تسئل انما
تسئل الله تعالى ان يحبك لما سمعت الله تعالى يقول انه الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلا الائمة واهتمامهم
ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتردد لمعادهم واما الضرر المخوف فان اول
الذنب فسق واخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس

وبلعم بن باعوراء كان مبدأ امرهما ذنبا واخرهما كفرا فهلكا مع الهالكين ابه
الايمان فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد عسى ان يقلع من قلبك عرق هذا
الامر وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن فساوة القلب وتامل
حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد
القلب ان لا تجد من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا
ولا تستحقر به من الذنوب شيئا فتخب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر
فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا وانا ابكي عليه اربعين
سنة قيل له ما هو يا ابا عبد الله قال زارتني امي فاشتريت لها سمكا فاكلت ثم قامت
الى الحائط فاخذت منه قطعة طين فمسحت بها يدها فناقش نفسك وحاسبها
وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله سبحانه
وتعالى وابتهل واذكر حال ابينا آدم عليه الصلوة والسلام الذي خلقه الله بيده
واسجد له ملائكته واسكنه جنته على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى
يروى انه الله تعالى قال له يا آدم ان جارا كنت لك قال نعم الجار يا رب قال
يا آدم اخرج من جواري وضع عن رأسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني من
عصاني حتى انه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه
الواحد هذا حال الرسل بنبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب
لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن
من قال يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب
فانه بتت ثم نقضت وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل
كنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثالثا ورابعا
وكما احدثت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة فلا

لكن

تكن فى التوبة اعجز منك فى الذنب ولا يتاس ولا يمنعنك الشيطان من التوبة
لسبب ذلك فانه دلالة الخير اما تسمع قول صلى الله عليه وسلم خياركم كل
مفتن توّاب اى كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله تعالى
بالندامة والاستغفار وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما هذه هذه وبالله التوفيق فصل
وجملة الامر انك اذا ابتدأت فبرات قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه
على انه لا يعود الى الذنب ابدا البتة فليكن ما كان منك على وجه علم الله تعالى
صرف عزمك من قلب تقىّ وترضى الخصوم بما امكنك وتقضى الفوائت
بما تقدر عليه وترجع فى الباقى الى الله سبحانه وتعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك
ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلى اربع ركعات كما تجب وتضع
وجهك بالارض فى مكان خال لا يراك الا الله سبحانه وتعالى ثم تجعل التراب
على رأسك وتمرّغ وجهك الذى هو اعزّ اعضائك فى التراب بدمع
جار وقلب حزين وصوت عالٍ تذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك
وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها وتقول ما استحييت يا نفس لما آن
لك ان تتوبى الى الطاعة بعد ان الله الك صنع بسخط الله وتذكر من هذا
كثيرا وتبكى ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول يا الهى عبدك الآبق
رجع الى بابك عبدك العاصى رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر
فاعف عنى بجودك وتقبلنى بفضلك وانظر الى برحمتك اللهم اغفر لى
ما سلف من الذنوب واعصمنى فيما بقى من الاجل فان الخير كله بيدك وانت
بنا رؤف رحيم ثم تدعو دعاء التلاوة وهو يا مجلى عظائم الامور يا
منفّس همّ المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احطت

يا ذا بوبا وانت المذخور لها يا مدخورى لكل شدة كنت اذخرك لهذه
الساعه فتب على انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من البكاء والتذلل وقل
يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل يا من لا يبرمه الحاح
الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة معرفتك انك على كل شئ قدير ثم
تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وتستغفر لجميع المؤمنين وترجع الى طاعة الله
عز وجل فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب ظاهرا كيوم
ولدتك امك واحبك الله عز وجل ولك ثم الاجر والثواب وعليك من
البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت
من المعاصى وبليتها فى الدنيا والاخرة وكنت قد قطعت هذه العقبة
باذن الله تعالى والله ولى الهداية بمنه وفضله

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى
بدفع العوائق حتى يستقيم عبادتك وقد ذكرنا ان العوائق اربعة
احدها الدنيا ودفعها بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد
والزهد لامرين احدهما لتستقيم العبادة وتكثر فان الرغبة فى الدنيا
اما ظاهرك بالطلب واما باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما
يمنع من العبادة فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشئ
انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والاخرة كمثل الضرتين ان ارضيت
احدهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى
احدهما تعرض عن الاخر اما شغلها فى الظاهر فقد روينا عن ابى
الدرداء رضى الله عنه انه قال لزاولت ان اجمع بين العبادة والتجارة
فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضى الله عنه

انه

انه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري لاجتمعتا لي فما اعطاني الله تعالى
القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك فاختر بالفانية والسلام واما شغلها
للقلب وهو الباطن فكمان الارادة فاروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما
يبقى على ما يفنى فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بالارادة
فلا يتيسر لك العبادة حقها واما اذا زهدت فيها فتفرغت بظاهرك
وباطنك يتيسر لك العبادة بل تعاونك اعضاؤك ولقد روى عن
سلمان الفارسي انه العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت
اعضاؤه في العبادة فهذه هذه والثاني من الامرين ان تكثر قيمة عملك
ويعظم قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد
قلبه خير واحب الى الله جل جلاله من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدا
سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف وتكثر لذلك فحق لمن طلب العبادة
ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا
وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد
مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالزهد الذي هو مقدور ثلثة اشياء
ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها
واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء على قلب الزاهد
ثم الزهد الذي هو مقدور مقدمات للذي هو غير مقدور فاذا الف
العبد بهذه بان لا يطلب ما ليس عنده مع الدنيا وان يفرغ ما عنده منها
ويترك بالقلب ارادتها واختيارها لافاتها اورثته هذه برودة الدنيا
على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم

اما اصعب الامور الثلثه انما هو ترك الارادة بالقلب اذكر تارك لها بظاهر
محب مريد بباطنه هو فى مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة والشاهد كله
فى هذه الم نسمع قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
فى الارض ولا فسادا فحكم فيه بنفى الارادة دون الطلب والفعل للمراد
وقوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه الاية وقوله من كان يريد
العاجلة وقوله تعالى ومن اراد الاخرة اوما ترى الاشارة كلها الى الارادة
فامرها هو المهم اذن لكن العبد اذا واظب واستقام على الاولين اعنى الترك
والتفريق فامول من فضل الله تعالى ان يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن
قلبه فانه المفضل الكريم عز وجل ثم الذى يبعث على الترك والتفريق
ويهون عليك ذلك ذكر افات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس القول فى
ذلك فمنه قول بعضهم ترك الدنيا لقلة عنائها وكثرة عنائها وشرعه
فنائها وخسة شركائها قال شيخى الامام كان من هذا رائحة الرغبة فانه
لا ينبغى ان يشكا فراق احد احب وصاله ومن ترك شيئا لمكان الشركاء فيه
اخذه لو انفرد به فالقول البالغ فيه ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة لله
سبحانه وتعالى وانت محبه ومن احب احدا بغض عدوه قال ولانها فى اصلها
وسخه جيفه الا ترى ان اخرها الى القذر والفساد والتلاشى والاضمحلال
لكنها جيفة ضمخت بطيب وطليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد
فيها العاقلون فان قيل فاحكم الزاهد فى الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم
ان الزهد عندنا يقع فى الحلال والحرام وهو فى الحرام فرض وفى الحلال نفل ثم
منزله هذا الحرام لمستقيمى الطاعة بمنزلة الميتة المقذرة لا يقدم عليها
الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة واما الزهد فى الحلال انما يكون فى منزلة

الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منها الا قدر الابد
منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال
وهذا معنى البرودة على القلب بان يتقطع همته عنها ويستقذرها وينفر
جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار او ارادة فان قلت كيف يمكن ان تصير
الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند انسان بمنزلة النار او بمنزلة
الجيفة والبينة بحيث تا والطبع طبعنا فاعلم ان من وفق التوفيق
الخاص وعلم افاتها وقذرها في الاصل تصير عنده كذلك وانما يتعجب من
هذا الراغبون العميان عن عيب الدنيا وافاتها المغترون بظاهرها
وزينتها وسا ضرب لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا يشبه بانسان صنع
جنيصا بترا نظله من الشمس او غيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر
ذلك رجل ولم يبصره اخر ووضع الجنيص بين ايديهما مزينا مزخرفا
فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الجنيص
لا يخطر ببا له ان يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار اصعب
لعيان ما يعلم من آفته فلا تغتر بظاهره وزينته واما الرجل الاخر
الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم
يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه في ذلك
فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المستقيمين والجهال الراغبين وان لم
يطرح فيه السم لكن برق او امتخط ثم زينه وضمخه فالرجل الذي
شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا لذلك الخبيص نافرا عنه لا
يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك
فهو جاهل بآفته مغتر بظاهره حريص عليه مكب متعجب محب فهذا

مثل حال الرجلين اهل البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة
وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في الطبع والبنية لموضع التفاوت بصاحبه
وعلم كان لاحدهما والجهل وغفلة وخفاء كان للاخر فلو علم الراغب ما علمه
الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي عنه الغافل لكان
راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا التميز لمكان البصائر دون الطبايع وهذا
اصل مفيد وكلام بين سديد اعترف به من عقل وانصف والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا
فكيف تزهد فيها فاعلم ان الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية
والمقصود القوام والقوة حتى تعبد الله ١٧ الاكل والشرب والتلذذ والله
ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها بغير سبب كالملائكة ان كان بشيء
فان شاء بشيء حاصل عندك وبطلبك وكسبك وان شاء بشيء غير يسببه
لك من حيث لا يحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذن لا يحتاج بحاله الى طلب
وارادة فان لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك العدة على عبادة
الله دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة
منك خيرا وطلبا للاخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك
فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق العائق الثاني الخلق ثم عليك وفقك
الله وايانا الطاعة بالتفرد والتجرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم
يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت
بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فاردت ان اكلمه فقال اذكر اسم
اشهى الي فقلت انت وحدك قال معي زنبي وملكان فقلت من سبق من

هؤلاء

هؤلاء فقال من عفر الله له فقلت ابن الطريق فاشار بيده الى السماء وقام و
تركني فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يعينونك منها بل يوقعونك
في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم
اجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم
تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني
اذن فمنعوا فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا تعادوني عليها
ان لم اتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي ثم اعلم ايها
الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان الغربة وبين
نعته ونعت اهله وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح
لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امر صلى
الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك فانه صلى الله عليه وسلم كان اعرف
بما يصلح لك في زمانك ولا تشتغل بالعمل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا
فانت هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكر ما هو في الخبر المشهور عن
عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس مرجت عهودهم وخفت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت ما اصنع عند ذلك
جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر
انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين
لا يامن الرجل جليسه وذكر عن ابن مسعود في خبر آخر للحرث بن عمر
انه قال اما يدفع عنك من عمرك نسيانك على ما مضى من زمانك كثير خطاياك وقليل علمك

وكثير سؤاله قليل معطوه الهوى خير قائد للعلم قال ومتى ذاك قال اذا امنت
الصلق وقبلت الرشا وباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا وحيك
ثم النجا قلت وجميع ما ذكر فهذه الاخبار تراه بعينك في زمانك
واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح رحمهم الله اجمعوا على التحذير من
زمانهم واهله وأثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا شك انهم كانوا
ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر منه وامر وهو
ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري يقول والله الذي لا اله
الا هو لقد حلت العزوبة في هذا الزمان قلت لمن حلت في زمانه ففي زماننا
هذا وجبت وافترضت وعن سفيان ايضا انه كتب الى عباد الخواص اما
بعد فانك في زمان كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من
ان يدركوه فينا بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على
قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكثرة من الدنيا وفساد من الناس
فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي
مثل هذا قيل هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
لو دام هذا ولم تحدث به غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة انه قال للثوري اوصني قال اقلل معرفة
الناس قلت يرحمك الله اليس جاء في الخبر اكثروا من معرفة المؤمنين فان لكل
مؤمن شفاعة قال لا احسبك رأيت قط ما تكن الا من تعرف قلت اجل ثم
مات فرأيته بعد موته في المنام الحج فقلت يا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة
الناس فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى هذا الخبر وما زلت مذ لاح
المشيب لمفرقي افتش عن هذا الورى واكتشف فما ان عرفت الناس

الا

الاذ منهم ١ جزا الله خيرا كل من لست اعرف ١ وقال الفضيل هذا زمان
احفظ لسانك واحفظ كمانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر وعن داود الطائي صم الدنيا واجعل فطرك الجنة وفر فرارك
من الاسد وعن ابي عبيد ما رأيت حكيما قط الا قال له عتب كلمه ان
احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب اكثر
من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا كتابا مفردا وسميناه كتاب اخلاق
الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب فالعاقل يكفه
الاشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله التي تقتضي
التفرد عن الناس في هذا الشان ان الناس يفسدون عليك ما يجعل لك
من العبادة ان لم يعصم الله تعالى بسبب ما تعرض من قبلهم من دواعي الرياء
والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال رؤية الناس بساط الرياء
وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقات
والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس رضي الله عنهما صلنا
بالزيارة واللقا فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منها وهو
الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقا يعرض منها التزين والرياء ولقد
قيل لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا تاتيه قال لان القى
شيطانا ماردا احب الي من لقائه فاستنكر واذلك من قوله فقال
اني اذا لقيته لخاف ان اتزين واذا لقيت شيطانا امتنع مني ولقد
شيخني الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعوا فاخرج حديثها
فقال للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا لا ارجى من مجلسي هذا فقال
له العارف لكني ما جلست مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا الست تعد

الى الحسن حديثك وعلومك منحدثني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك
فوقع الرياء فبكى شيخي الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يمثل
يا ليتني من موقف ما به الخوف من ان يعدل الحاكم ل يارب عفوا منك عن
مذنب ل اسرف الآانه نادم ل فهذه حال اهل الزهد والرياضة في
ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة واعلم
ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضرر كبير فانهم يشغلونك
عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شئ ثم يفسدون عليك ما حصل
حتى لا يكاد يسلم لك شئ فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة
بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فان
قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبينت لنا حال طبقات الخلق
فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان الناس في هذا
الباب رجلان رجل لا حاجة بالخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل
التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس
علم بالسنة او حاجة في معيشته لا بد له من ذلك والا فيوارى شخصه ويلزم
كنه لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب هذا الرجل ان تنقطع عن الناس فلا
يخالطهم فلا مر من الامور البتة من دين ودنيا وجماعة وجمعة وغيرها لما
يرى له في ذلك من مصلحته وفراغته فانه لا يسعه ذلك ذلك الا باحد
امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هناك هذه الفروض كرؤس الجبال
وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى
تلك المواضع البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر
الذي تلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فح

يكون

يكون له عذر في ذلك ولقد رأيت انا بمكة بعض المشايخ المنفردين من اهل
العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله
فحاورته في ذلك يوما في حال تردد اليه فذكر من عذره ما اشرنا اليه وهو
ان ما يجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام والتبعات في الخروج الى المسجد
ولقاء الناس قلت وانا جملة الامر فلا عتب على المعذور والله تعالى
اعلم بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه الاول
بان يشارك الناس في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما
سوى ذلك فان اجب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله
الخروج الى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض فيها شم ان الطريق الثالث ان
يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه في ذلك
من وزر او تبعه عليه فانه يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط
عنه ذلك وفيه خطر من المغلط فالاولى السلم واحفظ له والله ولي الهداية
والتوفيق بفضله واما الرجل الثاني فمن جعل يكون قدوة في العلم بحيث
يحتاج اليه الناس في دينهم لبيان حق او رد على مبتدع او دعوة الى خير
بفعل او قول او نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس
بل يجب نفسه بينهم ناصحا للخلق الله تعالى ذابا عن دين الله مبينا
لاحكام الله تعالى فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا اذا كان بينهم واذا خرج
من بينهم فلا يجوز له ذلك ايضا ولقد حكي عن الاستاذ ابي بكر بن
فورك انه قصد ان يتفرد بعبادة الله عن الخلق فبينا هو في بعض
الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذا ضربت في حج الله تعالى على خلقه

ترکت عباد الله فرجع وکان هذا سبب صحبته للخلق وذکر لی مامون بن
احمد ان الاستاذ ابا بکر قال لعباد جبل لبنان یا اکلة الحشیش ترکتم امة
محمد صلی الله علیه وسلم فی ایدی المبتدعة واشتغلتم ههنا باکل الحشیش
قالوا له انا نقوی علی صحبة الناس وانما اعطانا الله فیلزمنا ذلک فصنف
بعد ذلک کتابة الجامع الجلی والخفی وکان لهم مع غزارة علمهم العمل الجم
والنظر الدقیق فی سلوک طریق الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج
الیه الناس فی باب الدین یحتاج فی صحبة الناس الی امرین شدیدین احدهما
صبر طویل وحلم عظیم ونظر لطیف واستعانة بالله دائمة والثانی
ان یکون فی هذا المعنی منفردا عنهم وان کان بالشخص معهم فان کلموه
کلهم وان زاروه عظمهم علی قدرهم وشکرهم وان سکتوا عنه واعرضوا
عنه استغنم ذلک منهم وان کانوا فی حق وخیر ساعدهم وان صاروا الی
لغو وشر خالفهم وهجرهم بل رد علیهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم یقوم
بجمیع حقوقهم من الزیارات والعیادات وقضاء الحاجات التی وقع الیه
ما امکنه ولا یطالبهم بالمکافات ولا یرجو ذلک منهم ولا یرتاح من نفسه
استحیاشا لذلک ویباسطهم بالبذل اذا قدروا ینقبض عنهم فی الاخذ
اعطی ویحتمل منهم الاذی ویظهر لهم البشر ویتجمل بظاهرهم ویکتم حاجاته
عنهم فیقاسیها ویعالجها فی سره وباطنه ثم یحتاج مع ذلک ان ینظر لنفسه
خاصة فیجعل لها حظا من العبادة الخالصة کما قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه
ان نمت اللیل لاضیعت نفسی وان نمت النهار لاضیعت الرعیة فکیف
لی بالنوم بین هاتین وفی هذا المعنی عرض لی ابیات من الشعر وهی
فان کنت فی هذی الاغة راعیا ... فحوطی علی ان ترتکبک الوقایع

بنفسی

بنفس وقور عند كل كريهة ۞ وقلب صبور وهو في الصدر ماتع ۞
لسانك محزون وراسك مبلج ۞ وسرك مكتوم الى الرب ذايع ۞
وذكرك معمور وبابك مغلق ۞ وثغرك بسام وبطنك جايع ۞
وقلبك مجروح وسوقك كاسد ۞ وفضلك مدفون وطعنك شايع ۞
وفي كل يوم انت جارع غصة ۞ من الدهر والاخوان والقلب طائع ۞
نهارك شغل الناس من غير منة ۞ وليلك سوق غاب عنه الطلائع ۞
فدونك هذا الليل خذه ذريعة ۞ ليوم عبوس عزفنيه النذايع ۞

ثم يكون بالنفس معهم وبالقلب بعيدا عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش تلك وفيه يقول شيخنا في وصيته عش مع اهل زمانك ولا تعتد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا ماج الفتن بعضها في بعض وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين من يرين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرحمون مفيدا ولا يعينهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدنت بين الخاصة فللعالم العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم واخفاء ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان

هذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم ومزله كثير وبالله التوفيق فان قيل اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان الشيطان ذيب الانسان ياخذ الشاذة والناحية والقاصية وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ المنقطع وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد ايضا الزم بيتك

وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان السوء ولا تناقض في قوله صلى الله
عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله صلى الله
عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها يعني به في الدين والحكم اذ لا
يجتمع هذه الامة على الضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الامة و
الشذوذ عنهم باطل وضلال فاما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس هذا من
ذاك في شيء والثاني عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم
ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو
ذلك من بركات من الله ونظره بالرحمة ولذلك نقول ان حق المنفرد ان
يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحة في
سائر الامور لما فيها من ضروب الآفة والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل
الضعيف في امر الدين واما الرجل البصير القوي في امر الله تعالى اذا رأى زمان
الفتنة الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة فيه
فالعزلة اولى له في الخلطة من الفساد والآفة وان لا ينقطع من جموع الاسلام
والخيرات العامة فان اراد ان يتفرد عن الناس بمرة فيسكن شاهق جبل
او بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا الرجل اينما
كان الا ويمكنه الله عز وجل من حضور الجماعات والجمعات وسائر جموع الاسلام
فيحفظ لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله بمكان وان تغير الناس
وفسدوا الذي سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام اينما كانت
ويسيرون في الارض حيث شاؤوا فان الارض لهم قدم واحد وفي الاخبار ان الارض
تطوى لهم ويناديهم بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا
لهم ما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر في خلاص نفسه واعان

الطالب

الطالب الذى لم يصل الى المقصود كما شاهدنا ولقد عرض لى فى صفة حالى ابيات من الشعر

ظفر الطالبون وانصل الوصل ۞ وفاز الاحباب بالاحباب ۞
وبقينا مذبذبين حيارى ۞ بين حد الوصال والاجتناب ۞
نرتجى القرب بالبعاد وهذا ۞ نفس حال المحال للالباب ۞
فاسقنا منك شربة تذهب الغم ۞ وتهدى الى طريق الصواب ۞
يا طبيب السقام يا سرهم الجرح ۞ ويا منقذى من الاوصاب ۞

فلنقبض الان عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان العزلة فقد خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قال النبى صلى الله عليه وسلم رهبانية امتى الجلوس فى المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك فى غير زمن الفتنة كما ذكرنا وايضا فانه يجلس فى المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم وبالمعنى منفردا وهذا هو المعنى فى العزلة والتفرد الذى نحن فى شرحه لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن ادهم كن واحدا جامعيا ومن ربك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول فى مدارس علماء الاخرة ورباطات الصوفية سالكى طريق الاخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى فى هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين والفائدتين اللتين احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والمزاحمة فى امورهم والثانية المشاركة معهم فى جمعهم وجماعتهم وتكثير شعائر الاسلام فيحصل السلامة التى هى للمتفردين والخير الكثير الذى هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من العدة والبركة والنصيحة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين بين الناس لتفعم لعباد الله فى

باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا
بهم فان لسان الحال افصح من لسان المقال فضارة ذلك احسن تدبير في امر الدين
والعلم والعبادة واحكم راى فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين
ايصحبهم ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولى وسيرتهم
الموروثة عن سلفهم فهم اجل اخوان في الله تعالى واصحاب واعوان على عبادة الله
تعالى فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم مثل ما نسمع من زهاد لبنان وعزلتهم
ان منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واما
اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا بطرايقهم الموروثة عن اسلافهم الصالحين
فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته ويكف
لسانه ويشاركهم في خيراتهم ويجانبهم في سايراحوالهم وآفاتهم فيكون هو في
عزلته من اهل العزلة منفردا من المنفردين فان قلت فاذا اختار هذا المجتهد
المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في نفسه وتجنب افة
تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصون
حصينة يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج عنها بمنزلة
الصحراء تدور فيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فتسبيه او تستأسره
فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن منه العدو من كل جانب يعمل به ما يشاء
فاذن ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي
لا يغلبه الاعداء واستوى عنده الحصن والصحراء فلا حرج عليه اذا خرج
غير ان الكون في الحصن احوط على كل حال اذ لا تؤمن الغفلات والاتفاقات
واذا كان الامر بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة
اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال والمانع للقوي البالغ مبلغ الاستقامة

عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتامّلها تغنم وتسلم فان قيل فما يقود فى
زيارة الاخوان لله تعالى ومواصلة الاصحاب بالتلاقى والتذكير فاعلم ان زيارة
الاخوان فى الله عز وجل من جواهر عبادة الله تعالى وفيها الزلفة الكريمة الى
الله عز وجل مع ما فيها من مرغوب الفوايد وصلاح القلب لكن بشرطين احدهما
ان لا يخرج فى ذلك الى الاكثار والافراط قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى هريرة
رز غبّا تزدد حبًّا والثانى ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء و
التزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود عليك وعلى اخيك الوبال
فلقد حكى ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان
يا ابا على ارجو اننا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست
مجلسا اخوف على من هذا قال وكيف يا ابا على قال الست تعمد الى احسن
حديث فتحدثنى وانا اعمد الى احسن ما عندى فاحدثك فتزينت لى
وتزينت لك فبكى سفيان فينبغى ان يكون مجالستك الاخوان وملاقاتهم
على مقدار قصدك فى احتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حتى فى عزلتك
وتفردك عن الناس ولا تعود عليك وعلى اخيك بضرر وآفة بل بخير كثير
وبيع عظيم والله الموفق فان قلت فالذى يبعثنى على العزلة عن الناس
والتفرد ويهون على ذلك فاعلم ان الذى يهون عليك ثلاثة امور احدها
استغراق اوقاتك فى العبادة فان فى العبادة شغلا وان الاستيناس بالناس
من علامات الافلاس فاذا رايت نفسك تتطلع الى ملاقاة الناس وكلامهم
من غير حاجة ومضرورة فاعلم ان ذلك فضول شاغل الفراغ والبطالة ولقد
احسن من قال ان الفراغ الى سلامك قادنى ولزمت عمل الفضول الفارغ
فاذن منى عانقت العبادة بجهدها ووجدت حلاوة المناجاة واستانست

بكتاب الله تعالى واشتغلت عن الخلق استوحشت من مجتمعهم وكلامهم وفي الخبر
ان موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المناجات يستوحش من الناس وكان
يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النقود والوحشة
في ذلك الوقت كاصوات الحمير فعليك بما قاله شيخنا رحمه الله اتخذ اصحابا
وزر الناس جانبا قلد الناس كيف شئت تجدهم عقاربا والثاني قطع الطمع عنهم
بحيث يهون عليك امرهم لان من لا يرجو نفعه ولا يخاف ضرره في وجوده وعدمه
سواء والثالث تبصر افاتهم وتذكر ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار
اذا لزمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله والتفرد لعبادته وحببته اليك
والزمتك بابه وبالله التوفيق العائق الثالث الشيطان ثم عليك يا اخي
بمحاربة الشيطان وقهره وذلك الخصلتين احدهما انه عدو لا مطمع فيه
بمصالحة وابقاء عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذا الا من
قبل هذا العدو والعقلة عنه وتامل آيتين من كتاب الله احدهما قوله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان الآية والثانية قوله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة
الثانية انه مجبول على عداوتك منتصب ابدا لمحاربتك فهو انا الليل
واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف يكون الحال ثم
وقتما تنكسر اخرى وهي انك في عبادة الله ودعوة الخلق الى
باب الله بفعلك وقولك وهذا ضد طبع الشيطان وهمته ومراده و
حرفته فحضرت كانك قمت وشددت وسطك لتغايظ الشيطان
وتكايده وتناقضه فهو ايضا شد وسطه ليعاديك ويقاتلك ويكرك
حتى يفسد عليك شانك بل حتى يهلكك رأسا اذ لا يأس من جانبك

يعد

بعد فان الذى يسئ ويقصد بالهلاك الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل
يصادقه ويوافقه كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة فى بعض الاحوال
فكيف تظن قصد من قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فلا اذن مع الناس
عداوة عامة ومعك ايها المجتهد فى العبادة والعلم عداوة خاصة وان امرهم
لك لهم ومعه عليك اعوان اشدها عندك نفسك وهواك وله
اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ
عليه حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول وهو يراك وانت لا تراه
انت تنسى الشيطان وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك
عون فاذن لا بد من محاربته وقهره والا فلا تأمن الفساد والهلاك فان
قلت فبأى شئ احارب الشيطان وبأى شئ اقهره وادفعه فاعلم
ان لاهل الصناعة فى هذه المسئلة طريقين لحدهما ما قال بعضهم ان التدبير
فى دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله
تعالى عليك وان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك
ودنا يظفر بك فيعقرك بجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك
اولى والثانى ما قاله الاخرون الطريق المجاهدة والقيام بالدفع والرد
والمخالفة قلت والذى عندى ان الطريق العدل الجامع فى امر ان
يجمع بين الطريقين فيستعيذ بالله اولا من شره كما امرنا وهو الكافى
شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله ليرى صدق
مجاهدتنا وقوتنا فى امره تعالى ويرى صبرنا كما يسلط الكفار علينا مع
قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص
والشهادة كما قال تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله

تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وهزمه فيما قال علمائنا رحمهم الله
في ثلاثة اشياء احدها ان يتعرف ويتعلم مكايده وحيله فلا يتجاسر
كالمص اذا علم ان صاحب الدار قد احسن به فر والثاني ان لا تستخف بدعوته
فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب الناج ان اقبلت
عليه ولع بك ولج وان اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله بلسانك
وقلبك فلقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى في جنب الشيطان
كالاكلة في جنب ابن ادم فان قلت فكيف نتعلم مكايده وكيف الطريق
الى معرفة ذلك فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام التي ترميها
وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان لحيله بمنزلة
الشبكات التي ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها
ولقد ذكر علمائنا ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس
ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر لك انشاء الله تعالى من كل
واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى
وكل بقلب ابن ادم ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولذلك دعوة الهام وسلط
في مقابلته شيطانا يدعوه الى الشر يقال له الوسواس ولذلك دعوة
وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر
في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا ان الشيطان رما يدعو الى الخير
وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او
يدعوه الى خير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خير بذلك الشر من عجب او غيره
هذا ان داعيان قاعدان على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه يحس بذلك

على

على ما روى في الخبر انه اذا ولد لبني آدم مولود قرن الله تعالى به ملكا وقرن
الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على اذنه قلب ابن آدم الايسر
والملك جاثم على اذنه قلبه اليمنى فهذه دعوات ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة يعني نزوله بالدعوة من قولهم لم بالمكان
والمم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في غيبه الانسان طبيعة مائلة الى
الشهوات وميل اللذات كيف كانت من حسن او قبيح فذلك هوى النفس
الصارفة الى الافات فهذه ثلث دعوات ثم علم بعد هذه المقدمة ان الخواطر
هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها
وسميت خواطر لاضطرابها من خطر اذا الرجل او نحوه وحده وهي جميعا في
قلب العبد بالحقيقة من الله تعالى لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله تعالى
في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان
يقال له هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم وينسب
اليه ويقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان ينسب اليه
ويقال له الوسوسة وينسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي بالحقيقة حادثة عند دعوته هو كالسبب في ذلك ولكنها تنسب اليه فهذه
اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من
قبل الله ابتداء قد يكون بخيرا كراما والزاما للمحنة وقد يكون بشر
امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا
بخيرا اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي من قبل الشيطان
لا يكون الا بشرا غواية واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا
والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تعشقا

وتتنعا ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعوا الى خير
والمقصود منه شركا الشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك تحتاج
الى معرفة ثلاثة فصول لابد لك منها البته وفيها المقصود احدها الفرق بين
خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي
او هوائي او شيطاني وباذا يفرق بينهما فان لكل واحد منها دفعا من
نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني
لتتبع ما يكون من الله او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك
الهوائي على قول من يقول به فاما الفصل الاول فاعلم انك اذا اردت
ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر تفرق بينهما فزنه باحد الموازين
الاربعة فيتبين لك حاله اولا اعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع
فان وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد بر خصة او شبهة فهو شر
فان لم تستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان في فعله
اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بالضد فهو شر وان لم يستبن فاعرضه
على النفس والهوى وانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة الطبع لا نفرة خشية
وترهيب فاعلم انه خير فان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل
رجا الى الله تعالى وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها
الى خير فباحد هذه الاوزان اذا نظرت وانعمت النظر تبين لك خاطر الخير من
خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه جواد كريم واما الفصل الثاني
اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان وبين خاطر
شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى فانظر فيه من ثلاثة اوجه احدها
ان وجبة مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس

وان

وان وجدته متردّدا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض العارفين
يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا يفرق الا بقتل بالغ وقهر ظاهر
ومثل الخارجي الذي يقاتل تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان
مثل الذباب اذا طردته من جانب دخل من جانب وثانيها ان وجدته
عقيب ذنب احدثته فهو من الله اهانة وعقوبة بشوم ذلك
الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال شيخي الامام هكذا تؤدي الذنوب الى قسوة القلب اولها خاطر ثم تؤدي
الى القسوة والرين وان كان الخاطر مبتدأ الا عقيب ذنب كان منك فاعلم
انه من قبل الشيطان هذا في الاكثر لانه يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل
حال وثالثها انه وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله ولا يزول فهو من الهوى
وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان كما ذكرنا في تفسير قوله
تعالى من شر الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا
ذكر الله خنس واذا غفل وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت
ان يفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى وما يكون من الملك فانظر في ذلك
من ثلاثة اوجه فان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى وان كان متردّدا
فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه ويعرض
عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير الثاني منها ان كان عقيب
اجتهاد منك وطاعة فهو من الله تعالى قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدأ فهو من
الملك في الاغلب الثالث منها ان كان في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله
تعالى وان كان في الفروع الاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك يسهل

له الى معرفه باطن العبد فى قول اكثرهم وانما خاطر الخير الذى
يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يزين عليه فلقد
قال شيخنا انظر ان وجدت تغسل فى ذلك الفعل الذى خطر
بقلبك مع نشاط لامع خشية ومع عجلة لامع تأن ومع امن
لامع خوف ومع عمى العاقبة لامع البصيرة فاعلم انه من الشيطان
فاجتنبه وان وجدت تغسل فى ذلك الفعل على ضد ذلك مع
خشية لامع نشاط ومع تأن لامع عجلة ومع خوف لامع امن
ومع بصارة العاقبة لامع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك
قلت انا فكان النشاط خفة فى الانسان للفعل من غير بصيرة
وذكر ثواب ينشط فى ذلك واما الثانى فمحمود الا فى موضع
معدودة وذكرت فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم العجلة
من الشيطان الا فى خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضاء
الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل
والتوبة من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل ان يكون
فى انمائه واداه على وجهه وحقه او قبول الله عز وجل اياه
واما بصارة العاقبة بان تبصر وتيقن انه خير ورشد
ويحتمل لرؤية الثواب فى العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا
فهذه جملة الفصول الثلثة التى لزمتك معرفتها فى فصل
الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما استطعت فانها من
العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة فى هذا الباب والله الموفق
الهداية بفضله واما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان

فيحزى

يجزى ذلك ومثاله انّ مكايد الشيطان مع ابن ادم فى الطاعة من سبعة اوجه
احدها ان ينهاه عنها فان عصمه الله رده بان قال انى لمحتاج الى ذلك جدا
اذ لا بدّ لى من التزوّد من هذه الدنيا للاخرة التى لا انفصالها ثم يامره بالتسويف
فان عصمه الله عزوجلّ ردّه بان قال ليس اجلى بيدى على انّى استوفت
اليوم الى غد فعمل الغد حتى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول
لا عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى رده بان قال قليل العمل مع التمام
خير من كثير مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراياة للناس فان عصمه
الله تعالى رده بان قال ايش اعمل برياة الناس افلا يكفينى رؤية الله
عزوجلّ ثم يريد ان يوقعه فى العجب فيقول لما اعظمك وما ايقظك
فان عظمه الله تعالى رده بان قال المنة لله تعالى فى ذلك ولى وهو
الذى خصنى بتوفيقه وجعل العملى فيه بفضله ولولا فضله لما كان
قيمة هذا العمل فى جنب نعمه الله تعالى علىّ وجنب معصيتى ثم ياتيه
من وجه سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه الا متيقظ وهو ان يقول
اجتهدت فى السر فان الله سيظهرهم عليك ويلبس كلّ عامل عمله
واراده بذلك ضرب من الرياء فان عصمه الله تعالى رده بان قال يا ملعون
الى الآن كنت تاتينى من وجه افساد على والآن تاتينى من اخلاص لنفسك
انما انا عبد الله وهو سيدى ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلنى
خطيرا وان شاء جعلنى حقيرا وذلك اليه وما ابالى ان اظهر ذلك للناس
او لم يظهر فليس بايديهم شئ ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك
الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا
لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما انا عبد وعلى

العبد امتثال الامر لعبودية والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما
يريد الا انه ينفعني العلم كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احببت اليه
لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا نحتاج اليه كيلا الوم نفسي وعلى ان الله
تعالى لما يعافيني على الطاعة بكل حال ولا يعزني وعلى اني ان دخلت النار وانا مطيع
احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد
على الطاعات بالثواب فمن لقي الله عز وجل على الايمان والطاعة لن يدخل
النار البتة ويدخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة لكن لوعد الله الصادق وقد
لهذا المعنى اخبر الله عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فيتيقظ
رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الاقطار والاحوال
واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا
قوة الا به العائق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر من
هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وغلاجها
اعسر الاشياء ودواها اعضل الداء دواها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين
احدهما انه عدو من داخل واللص اذا كان من البيت عزت الحيلة فيه
وعظم الضرر ولقد صدق القائل بقوله * نفسي الي ما ضرتني داع * تكثر
اسقامي واوجاعي * فكيف لي حيلتي من عدوي * اذا كان عدوي
بين اضلاعي * والثاني انها عدو محجوب والانسان عم عن عيب محجوبه
لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن
عين السخط تبدي المساويا * فاذن يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا
يكاد يطلع على عيب لها وهي في عداوتها واضرارها فما اوشك ما توقعه في
فضيحته وهلاكه وهو لا يشعر الا ان يحفظه الله تعالى بفضله ويعين عليها

برحمته

برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي اذا نظرت وجدتها
اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة وقع في خلق الله تعالى
من اول الخلق الى يوم القيمة من قبل هذه النفس امّا بها وحدها وامّا بعونها
ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه
بعد القضا السابق هو النفس بكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين
الف سنة فيما قيل في بحر الضلال فغرق الى ابد الابدين اذ لم يكن هنالك دنيا
ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعلت به ما عملت
ثم اذنب ادم وحوى طرحتها شهوة النفس في ذلك لحرصها على البقا والخلق
حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك بعون النفس وشركتها حتى سقط بذلك
من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة المنكدة الفانية
المهلكة لمن ما لقي ولقي اولاده ما لقوا من ذلك اليوم الى ابد الابدين ثم حديث
قابيل وهابيل كان السبب الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان
السبب الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيمة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة
ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها وانما كان الخلق في سلامة
وخير واذا كان عدوا بهذه الضرر كله فحق العاقل ان يهتم بامره والله تعالى
ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة لنا اذن في هذا
العدو وما التدبير في امره فبيّن لنا ذلك فاعلم ان قد ذكرنا فيما تقدم ان امرها
عسير وصعب اذ لا يمكن قهرها بمرّة كسائر الاعداء اذ هي المطية والآلة وقيل
ان اعرابيا دعى لانسان بخير فقال كبت الله لك كل عدو لك الا نفسك ولا
يمكن اهمالها بمرة لكان ضررها فيحتاج الى طريق بيّن طريقين تربيته وتقويته
بقدر ما يحتمل فعل خير وتضعفه وحبسه على حدّ لا يتمادى فانت في امرها

فعلاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في أمرها ان تلجمها بلجام التقوى
والورع لتحصل الفائدة تاما جسيما فان قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة
شكسة لا انقياد للجام فما الحيلة فيها حتى يمكننا منها فاعلم انك فيها
تصادق والحيلة فيها تذليلها حتى تنقاد للجام فاذ علمت انا انما نذلل النفس
ونكسر هواها بثلثة اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين
اذا نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد
في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله تعالى
والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص لك تسمع قول يوسف عليه السلام
بخ الصادق ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه
الامور الثلثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله عز وجل فخ بتادر الى
ان تملكها وتلجمها وثامن شرها فان قلت فبينه الآن ما هو التقوى حتى
نعلمه فاعلم اولا ان التقوى كنز عزيز فانه ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر
شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك
عظيم فكان خير امر الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة
التي هي التقوى فتأمل ما في القرآن من ذكر ما علق بها من خير وكم وعد عليها
من اجر وثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعدد لك جملها اولها
المدحة والثنا قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
والثاني الحفظ والحراسة قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون والرابع النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح

العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح
لكم اعمالكم السادس غفران الذنوب قال تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابع
محبة الله تعالى قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامن القبول قال تعالى
انما يتقبل الله من المتقين التاسع الكرامة والاعزاز قال تعالى ان اكرمكم عند
الله اتقكم العاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الحادي عشر النجاة من النار
قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا الثاني عشر الخلود في
الجنة قال تعالى اعدت للمتقين فهذه كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه
التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يخص هذا الشان من
امر العبادة ثلثة اصول لاحدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين كما
قال تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو
للمتقين كما قال يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين قال الله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه الامور الثلثة
التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى تتم ثم القبول اذا تمت وهذه
الثلثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسئلون فيقولون
وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك كله على التقوى
واكرمها التقي سالا ولم يسئل فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة
الله تعالى بل ان اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل

من اتقى الله فذاك الذي ... سيق اليه المتجر الرابح

وقال اخر

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقى

وكتب بعضهم على بعض القبور ليس زاد سوى التقى فخذ الزاد اودع
ثم تامل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك فى العبادة
وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان كله فى القبول
وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى
التقوى ولذلك روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما اعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشئ من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة رضى الله
عنه انه مكتوب فى التورية يا ابن ادم اتق الله وثم حيث شئت وبلغنى عن
عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلى كل يوم وليلة الف ركعة
ثم يأوى الى فراشه فيقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك لله طرفة
عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل
نكتة اخرى وهى اصل من الاصول وهى ما ذكر ان بعض الصالحين قال
لبعض اشياخه اوصنى قال اوصيك بوصية الله رب العالمين الاولين
والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله قلت انا اليس الله اعلم بصلاح العبد من كل احد اوليس هو
انصح لهم منهم وارأف من كل احد ولو كانت فى العالم خصلة هى اصلح للعبد
واجمع لخيرى الدارين واعظم للاجر واجل فى العبودية واعظم فى القدر واولى
للحال واربح للمآل من هذه الخصلة التى هى التقوى لكان الله تعالى امرها
عباده واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما اوصى
بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والآخرين من عباده فى ذلك واقتصر
عليها علمت انها الغاية التى لا متجاوز عنها ولا مقصد دونها وانه عز وجل قد

جمع

جمع كلّ نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب فى هذه
الوصيّة الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التى
هى التقوى هى الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلّغة الى
اعلى الدرجات فى العبودية وهذا اصل لامزيد عليه وفيه كفاية لمن ابتر النور
واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولىّ الهداية والتوفيق بمنه فان
قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجلّ موقعها واشتدت الحاجة الى
معرفتها فلا بدّ الان من تفصيلها فاعلم ان الامر كذلك وحقها ان يجلّ
قدرها ويلزم طلبها ولمثل الحاجة الى معرفتها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير
يحتاج فى اجتلابه الى طلب كبير وتعب كثير وهمة عالية وجهد شديد
فاذن كما ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فان المجاهدة فى طلبها والقيام
بحقها والعناية فى تحصيلها ايضا لعمل كبير وشان عظيم فان المكارم على
حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات والله يقول والذين
جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وان الله هو
الرؤف الذى بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبّه لحدّ بيان هذه الخصلة
حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله عزّ وجلّ حتى تعمل بما تعلم فان
الشان كله فى ذلك والله ولىّ التوفيق والهداية فيقول اعلم اولا ان
التقوى قول شيوخنا هى تزكية القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى
يحمل العبد منه قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصى هكذا قال
شيخنا وذلك ان اصل لفظة التقوى فى اللغة هو الوقوى بالواو وهو
مصدر كالوقاية يقال وقى يقى وقاية ووقوى فابدلت عن الواو وتاء
كما هو فى الوكلان والتكلان ونحوهما فقيل يقوى فاذن لما حصلت وقاية

بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك
فيوصف بانه متق ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى
والتقوى في القرآن تطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال
الله تعالى واياى فاتقون وقال تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني
بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان
يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب
فهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فعلمنا ان
حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عما ذكرنا ثم
قالوا منازل التقوى ثلثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى
عن المعاصي الفرعية وقد ذكرها الله تعالى في اية واحدة وهي قوله تعالى ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا واحسنوا
وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى
نقا القلب عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن
البدعة والايمان الذي معها اقتران عقود السنة والجماعة والتقوى
الثالثة عن المعاصي الفرعية والاقتران في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان هو
الطاعة والاستقامة عليها فيكون منزل مستقيمي الطاعة فالاية جمعت ذكر
المنازل الثلث بمنزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاع
هذا ما قال العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجد التقوى لمعنى اجتناب
فضول الحلال وهو ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون

المتقين

المتقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاجبت ان اجمع بين ما
قاله علمائنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فتكون حدا جامعا
ومعنى بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك الاترى
انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شئ يضره في بدنه من طعام او
شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي تخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض
الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال ولا نهما
فيه يجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها
وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان يأمن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر
فامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجر الى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه
وسلم لتركهم ما لا باس به حذرا مما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا
عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر للامر
الدين وهو المعصية والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على
موضوع علم الشرع فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يبق
عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم
الشرور ضربان شر اصلي وهو ما نهى تحريما كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي
وهو ما نهى عنه تاديبا وهو فضول الحلال كالملاحات الماخوذة بالشهوات
فالاولى تقوى من يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير واديب
يلزم بتركه الحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في
الدرجة الدنيا من التقوى وذلك منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى
بالاخرى فهو في الدرجة العليا من التقوى وذلك بمنزلة مستقيمي المباح فاذا
جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصيته وفضول فقد استكمل معنى التقوى

وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر
الدين وذلك منزلة الادب على باب الله تعالى هذا معنى التقوى وبيانها فافهم
موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت فصل لي الآن هذا المعنى في النفس
واستعماله فيها فان الحاجة جائت من هنالك لنعلم كيف تلجم هذه النفس
بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى فاقول اجل انما تفصيله في امر
هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصيته وتصونها عن كل
فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك ولسانك
وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها بلجام التقوى ولهذا
الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في كتاب احياء علوم الدين واما الذي لابد
منه ههنا ان نقول من اراد ان يتقي الله فليراع الاعضاء الخمسة فانها الاصول
وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل
ما يخاف منه ضرر في الدين من معصيته وحرام وفضول واسراف في حلال
واذا حصلت صيانة هذه الاعضاء فرجوان يكفي الله شر سايرا اركانه ويكون
قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة
فصول لهذه الاعضاء وتفصيل ما يحرم في حق كل واحد منها على قدر ما
يليق بهذا الكتاب **الاول فضل العين** عليك وفقك الله واياانا
بحفظ العين فانها سبب كل فتنة وآفة واذكر في امرها ثلثة اصول
كافية احدها ما قاله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم ان تامل هذه
الاية فاذا فيها سبع فقرها ثلثة معان عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد
فاما التاديب ففوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولابد للعبد

من امتثال امر السيد والتاذب بادبه والا فيكون سيئ الادب يجب فلا يؤذن
له في حضور المجلس والمتود بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فانه
فيها ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم على معنيين والله اعلم
احدهما ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير والثاني
ذلك انمى لخيرهم واكثر لان الزكوة في الاصل النمو فنبه على انه في غض البصر
تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك وارخيت
عنانها تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلو اما ان تقع عينك على حرام فان تعمدت
فذنب وكبيرة وربما تعلق قلبك بذلك فهلك ان لم يرحم الله تعالى ولقد
روى ان العبد لينظر النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به
ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك به ويجاك الوسواس والخواطر بسببه
ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر
ذلك فقد كنت وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام اياك والنظرة فانها
تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون نعم حاجب
الشهوات غض الابصار ولقد احسن القائل
وانت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر
عليه ولا عن بعضه انت صابر
فاذن لما كنت غاض البصر حافظا
للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا
عن كثير من الوساوس سالم النفس عن الافات متزايد في الخيرات فتبين لهذه
النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق لمنه واما التهديد فقوله ان الله خبير
بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا
لمن خاف مقام ربه فهذا اصل واحد من كتاب الله عز وجل والاصل الثاني ما

مارويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم عبادة تسره وان وجدان حلاوة
العبادة ولذة المناجات من العابدين بكان وهذا شئ مجرب علمه وتحققه
من عمل به اذا اشتغم النظر الى ما لا يعينه يجد حلاوة وللقلب صفوة لم يجدها
قبل ذلك الاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو من اعضائك يصلح لماذا
وتنظر لماذا فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض
الجنة وقصورها واليد كاس الشراب وتناول الثمار وكذلك في سائر الاعضاء
فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس في الدارين كرامة اجل واكبر
من ذلك فحيثما لشئ ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ
ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلاثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة
في هذا الفصل والله الموفق والثاني فضل السمع فعليك بصيانة سمعك
عن الخنا والفحش وذلك لامرين احدهما ما روى ان المستمع شريك القائل وفي
ذلك يقول ﷺ تحرز من الطرف او ساطها ﷺ وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح ﷺ كصون اللسان عن النطق به ﷺ
فانك عند سماع القبيح ﷺ شريك لقائله فانتبه ﷺ
والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس في القلب ثم من ذلك
يهيج الاشتغال في البدن فابتقى في العبادة شئ ثم اعلم ان الكلام الذي
يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار
ومنه النافع ومنه الغذا ومنه السم بل ان جنا الكلام وبجموعه اكثر وابلغ فان
الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره وربما يبقى اثر زمانا ثم يزول وله دواء
ينزل اثره من نفس الانسان واما الكلام الذي وقع في قلب الانسان ربما يبقى

معه

سعه جميع عمره لا ينساه فان كان شيئا ردها فلا يزال يتعبه ويعينه ويرد عليه
خواطر في القلب ووساوس يحتاج ان يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تذكرها
ويستعيذ بالله من شرها ولا يأمن ان يتحمله على بليته ويكرره حتى يقع اخر الامر
في آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن
هذه المؤونة مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق **والثالث فضل**
**اللسان** ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وقيده فانه اشد الاعضاء
جماحا وطغيانا واكثرها فسادا وعمرو انا لقد رويانا عن سفيان بن عبد الله
انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان
نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد قال اني وجدت نفسي تحتمل
مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبرد ولا تحتمل ترك كلمة لا يعنيها فعليك
اذن بالتحفظ جدا وبذل المجهود في تذكر خمسة اصول احدها ما روى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ابن ادم اذا
اصبح بكرت الاعضاء كلها الى اللسان وقلن تنشدك الله لتستقيم فانك ان
استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم
ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا
المعنى ما حكي عن مالك بن دينار انه قال اذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا
في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك والاصل
الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى
فعلى الاقل يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على
غرفة بنيت فقال من كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس الغرور
سألت عما لا يعنيك وعاقبتها بصوم سنة فياطوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح

للغافلين الذين ظلموا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق
القائل واحسن بقوله ١ واذا ما هممت بالخوض بالباطل ١ فاجعل مكانه تسبيحا
١ واغتنم ركعتين فى ظلمة الليل ١ اذا كنت فارغا مستريحا ١
الاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فانه من لم يصن لسانه واكثر كلامه
يقع لا محالة فى غيبة الناس كما قيل من كثر كلامه كثر سقطه والغيبة هى
الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل انه مثل من يغتاب الناس مثل من نصب
منجنيقا هو يرمى به حسناته شرقا وغربا وبلغنا عن الحسن انه قيل له
يا ابا سعيد انه فلانا اغتابك فبعثت اليه بطبق فيه رطب وقال بلغنى
انك اهديت الى حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكرت الغيبة عند
ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امى لانها احق بحسناتى وذكر
انه فات حاتم الاصم ليلة القيام فغيرته امرأته فقال انها اقوا ما صلوا بالليل
البارحة فلما اصبحوا نالوا منى فيكون صلوتهم يوم القيمة فى ميزانى فالاصل
الرابع السلامة من افات الدنيا على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر
به اسنانك وقال اخر لا تبسط لسانك فتقصد عليك شائك
وقيل احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق ولابن
المبارك احفظ لسانك ان اللسان ١ سريع الى المرء فى قتله ١ وان اللسان
دليل الفؤاد ١ يدل الرجال على عقله ١ وعن ابن المطيع ١ لسان المرء ليث فى
كمين ١ اذا خلى عليه لدى اغان ١ فنسنسه عن الخنا بلجام صمت
يكن لك من بليات ستان ١ وفى المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها
دعنى والاصل الخامس ذكر افات الاخرس وعاقبتها واذكر فيه نكتة واحدة
وهى انه لا يخلو اما ان تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من فضول

لا يعنيك

لا يمينك فان كان محظورا ففيه عذاب الله الذى لا طاقة لك به ولقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسرى بى نظرت فى النار
فرأيت قوما يأكلون الجيف قلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون لحوم
الناس ولقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب
العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزق كلاب الناس وعن ابى قلابة ان فى
الغيبة خراب القلب من الهدى فنسئل الله تعالى العصمة من ذلك بفضله هذا فى
الكلام المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين
بما لا خير فيه ولا فائدة وحق المرء ان يستحى منها فلا يؤذيها قال سبحانه وتعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثانى ارسال كتاب الى الله عز
وجل من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى وذكر ان بعضهم
نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انك تملى الى ربك فانظر ماذا تملى
والثالث قراءة يوم القيمة بين يدى الملك الجبار على رؤس الاشهاد بين
الشدائد والاهوال عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محجوبا عن
النعمة الرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت وانقطاع الحجة والخيام رب
العالمين وقد قيل ايا ك والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول
واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا فى كتاب سر ما عاملات الدين ما
فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفا انشاء الله تعالى والرابع فضل القلب ثم عليك
بحفظ القلب وحسن النظر فى ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء
خطرا واكثرها اثرا واوفرها اجرا واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول
مقنعة الاولى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقوله تعالى
يعلم ما فى قلوبكم وقوله انه عليم بذات الصدور كما ذكره وكرر ذكره فى القرآن

وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للمخواص من العباد فان المعاملة
مع علام الغيوب حظيرة فانظر فانما يعلم من قلبك والاصل الثاني
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم انما ينظر الى قلوبكم فالقلب
اذا موضع نظر رب العزة فواعجبا من يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق
فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق
فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره
ويزينه ويطيبه ولا يهتم بقلبه كيلا يطلع الرب على دنس فيه وشيء
آفة وعيب بل يهمله بفضايح واقذار وقبايح لو اطلع عليها الخلق لهجروه
على واحدتها وتبرؤا منه وطردوه والله المستعان والاصل الثالث ان
القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها اتباع فاذا صلح المتبوع صلح
التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية تبين ذلك بما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت
فسد الجسد الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية
اليه والاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر نفيس للعبد وكل معنى خطير
اولها العقل واجلها معرفة الله عز وجل التي هي سبب سعادة الدارين ثم
البصائر التي لها التقدم والوجاهة عند الله تعالى ثم النية الخالصة في
الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف
العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال التي بها تفاضل الرجال على ما
فصلنا في شرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة
ان تحفظ وتصان عن الادناس والافات وتحرس وتحزن من السراق
والقطاع وتكرم وتجل بضروب الكرامات لئلا تلحق تلك الجواهر العزيزة دنس

فلا

فلا يظفر بها عدو والعياذ بالله تعالى الاصل الخامس في قتاله وجاله
فوجدت له خمسة احوال ليست لعين من اعضاء ابن ادم احدها ان العدو قاصد
اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منزل
الالهام والوسوسة يقرعانه ابدا بالدعوتين الملك والشيطان والثاني ان
الشغل له اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى
وجنوده والعقل وجنوده فهو ابدا محل تجاذبهما ولقائهما وتناقضهما وحق
بالثغر اذ يحرس ويحصن ولا يغفل والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر
له كالسهام لا يزال يقع فيه وكالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع
ولا انت تقدر على منعها فيمتنع وليس بمنزلة العين التي بين جفنين تغمض
فتستريح او يكون في موضع خال او ليل مظلم فتكفي رؤيتها واللسان الذي
هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه وتسكينه
بل القرب غرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ منها بحال ولانها تنقطع
عنك بوقت ثم النفس مسارعة الى ابتاعها والامتناع عن ذلك بمجهود الطاعة
امر شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك
فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتعرض له حاجة فتحتاج الى ان تبحث عن
ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة الخامس ان الافات
اليه اسرع فهو بالانقلاب اقرب لقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر
في غليانها ما سمي القلب الا من تقلبه والرابع يعرب باللسان اطوارا
ثم ان زلا القلب والعياذ بالله فزلله اعظم ووقوعه اصعب واقطع ادناه
قسوة وميل الى غير الله سبحانه ومنتهاه ختم ونكتة بالله تعالى اما تسمع قوله تعالى
ابى واستكبر كان الكبر بقلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعالى

ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى يقلبه فحمله
على ذلك لذيذ السئوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل
خاف عباد الله تعالى الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال
سبحانه فى وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم
من المعتبرين بالعبر المهتمين بمواضع الحظر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن
النظر انه ارحم الراحمين فان قيل ان هذا الامر لمهم جدا فاخبرنا عن المعانى
التى تصلحه عن الافات التى تعترضه فتفسده عسى ان توفق للاجتهاد فى العمل
بذلك يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعانى لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وانما
علمناه الاخرة عنوانا باستخراج ذلك وتصنيفه فى هذه النكتة لاعزز وقد ذكروا
فيما يحتاج اليه من ذلك سبعين خصلة محمودة وفى اضدادها المذمومة
ثم من الافعال والمساعى الواجبة والمحظورة ونحو ذلك فى سائر تفاصيلها
ولعمرى انه من اهم امر دينه وامتع عن رقدة الغافلين فنظر لنفسه فلا يكون
تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة
منها فى شرح عجايب القلب من كتاب احياء علوم الدين واتينا على شرح جميعها
بتفاصيلها وكيفية علاجها فى كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب
مستقل بنفسه عظيم الفايدة ولا ينتفع به الا محول العلماء الراسخين فى علم
الاخرة وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدى والقوى والضعيف
فنظرنا فى الاصول التى لابد من ذكرها فى علاج القلب والحاجة اليها ماسة ولا غنية
عنها البتة فى شان العبادة فوجدناها اربعة امور هى مدار حظ العابدين و
افات المجتهدين وهى فتن القلوب وبليات النفوس وعقوق وتشين وتقيد

وتلف

وتتلف واربعة فى مقابلتها فيها قوام العبد وانتظام العبادة وصلاح القلوب
فالافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمنافات الاربع قصر الامل
والتانى فى الامر والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هى الاصول فى صلاح
القلوب وفسادها والنكت التى عليها المدار فلنبذل المجهود فى التحرز عن هذه
الافات والتحصيل لهذه المنافات ليكفى المؤن ويظفر بالمقصود انشاء الله تعالى
وساخبرك عن هذه الافات بكلمات وجيزة مقنعة اما طول الامل فانه
العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذى يوقع
الخلق فى انواع البليات واعلم انه اذا طال املك هاج لك منه اربعة اشياء احدها
ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف افعل والايام بين يدى ولا يفوتنى
ذلك ولقد صدق داود الطآئى حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه
البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازى الامل قاطع من كل
خير والعلم مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل
شر والثانى ترك التوبة وتسويفها يقول سوف اتوب فى الايام سعة
وانا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدى وانا قادر عليها متى مارستها
فربما اغتال الحمام على الاصرار واختطف الاجل قبل اصلاح العمل والثالث
الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة تقول اخاف الفقر فى الكبر وربما
اضعف عن الاكتساب ولا بد لى من شئ فاضلا ادخره لمرض او هرم او فقر
هذا ونحوه يحرك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول
ايش اكل وايش البس وهذا الشتا وهذا الصيف ومالى شئ ولعل العمر
يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد من قوة وغنية عن
الناس هذه واشباهها يحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع

لما عندك منها والثالث وهو اقلها في البال ان يشغل قلبك ويضيع عليك
وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ما روى عن ابي ذر
رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قتل وكيف ذاك يا اباذر
قال ان املي جاءه اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للاخرة لان اذا
املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اخوف ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى لان طول الامل
ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن يصير فكرك ومعظم قلبك
في حديث الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو القلب من
هنا وانما رقة القلب وصفوته هو بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب
واحوال الاخرة واذا لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة
قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولانك اذا طولت املك قلت
طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك
وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى
احزنك فاي حال اسوء من هذه واية آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول
الامل فان قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك
واخوانك الذين غافصهم الموت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذر
يا نفسي الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لم
يكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره
اما سمعت قول عيسى عليه السلام الدنيا ثلثة ايام امس مضى ما بيدك
منه شيء وغد لا تدري ان تدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي
ذر الدنيا ثلث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري

اندركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى
ساعة ثم قول شيخنا الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس
انت فيه ونفس لا تدرى اندركه ام لا اذكر من تنفس نفسا ففاجاه الموت قبل
الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر فى هذا النفس الواحد
الى طاعة الله تعالى قبل ان يفوت والى التوبة فلعلك فى النفس الثانى تموت ولا
تنتمى يا نفس بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاجى اليه فيكون وقتك ضايعا
والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد او ساعة واحدة
او نفس واحد اما تذكرين ما قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه اما تعجبون من
اسامة المشترى الوليدة الى شهر انه اسامة لطويل الامل والله ما وضعت
قدما فظننت انى ارفعها ولا لقمة فظننت انى اسيغها حتى يدركنى الموت
والذى نفسى بيده انه ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل
تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار يقصر املك
باذن الله تعالى فترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك فتسقط
عنك معصيتك وتزهد فى الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتبعتك ويقع
قلبك فى تذكر الاخرة واهوالها وما هو الآمن نفس الى نفس تصير اليها وتعاينها
واحدا واحدا فتزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر
عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم لك امر عبادتك ويقوى
الرجا فى ان تسعد فى عاقبتك فتظفر بالمراد فى آخرتك وكل ذلك بعد فضل
الله تعالى بسبب هذه الخصلة التى هى قصر الامل ولقد حكى ان زرارة بن اوفى
رحمه الله قيل له فى النوم بعد موته راى الاعمال ابلغ فيما عندكم قال الرضا
وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود فى هذا الاصل الكبير

فانه اللائم والاعظم فی اصلاح القلب والنفس والله تعالی ولی التوفیق بفضله ورحمته
واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث علی الخطیات وانه الداء الذی
یبتلی به الکثیر من القراء والعلماء فضلا عن العامة والجهلاء حتی اهلکهم واوردهم
النار اما تسمع قول رسول الله صلی الله علیه وسلم ستة یدخلون بستة النار العرب
بالعصبیة والامراء بالجور والدهاقین بالکبر والتجار بالخیانة واهل الرساتیق
بالجهل والعلماء بالحسد وان بلیة بلغ شومها ان اوردت العلماء النار فحقیق ان
یحذر منها واعلم ان الحسد یهیج خمسة اشیاء احدها فساد الطاعات قال
رسول الله صلی الله علیه وسلم الحسد یاکل الحسنات کما تاکل النار الحطب والثانی فعل
المعاصی والشرور علی ما قاد وهب للحاسد ثلث علامات یتملق اذا شهد
ویغتاب اذا غاب ویشمت بالمصیبة قلت وحسبک ان الله تعالی امر
بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد اذا حسد کما امر بالاستعاذ
من شر الشیطان فانظر کم له فی الشر والفتنة حتی انزله منزلة الشیطان والساحر
حتی ان لا استعاذ علیه ولا مستعاذ الا بالله رب العالمین والثالث التعب
والغم بلا فائدة مع کل وزر ومعصیته کما قال ابن السماک لم ار ظالما اشبه
بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقلها هائم وغم لازم والرابع عمی القلب حتی
لا یکاد یفهم حکما من احکام الله ولقد قاد سفیان الثوری علیك بطول الصمت
تملك الورع ولا تکن حریصا علی الدنیا تکن حافظا ولا تکن طعانا تنج
من السن الناس ولا تکن حاسدا تکن سریع الهم والخامس الحرمان و
الخذلان فلا یکاد یظفر بمراد وینصر علی عدو کما قال حاتم الطائی غیر ذی
دین والعایب غیر عابد والنمام غیر مامون والحسود غیر منصور قلت
الحسود کیف یظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالی عن عباده المسلمین وکیف

ینصر

ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنين ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم
صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم واه دائم يفسد عليك الطاعة
ويكثر شركك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس وفهم القلب والنصر على الاعداء
والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك
والله تعالى ولي التوفيق واما الاستعجال والنزق فانه الخصلة المفوتة للمقاصد
الموقعة في المعاصي واما فيها تبدو افات اربع احدها ان يقصد العلو منزلة
في الخير والاستقامة فربما يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر و
ييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد وانتعاب النفس
فينقطع عن تلك المنزلة هو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال
ولقد وينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دينا هذا متين فاوغل
فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان لم تستعجل
تصل ولبعضهم يقول قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع
المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله فيها ويكثر الدعاء
ويجد فربما يستعجل الاجابة في غير وقتها فلا يجدها فيفتر ويسأم ويترك
الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه
فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية
وهلاك فالله تعالى يدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع والورع اصله النظر البالغ
في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من اكل وشرب فتثبت وتعقل
فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور غير متأن متثبت فيها متبين لم يقع منه
توقف ونظر في الامور كما يجب بل يسارع الى كل كلام فيقع في الزلل والى كل

طعام فيقع فى الحرام والشبهة وكذلك فى كل امر فيفوته الورع وأى خير فى
عبادة بلا ورع واذا كان فى خصلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان
الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم حظ فوق الورع الذى هو رائض المال فحق
الانسان ان يهتم لها بالازالة واصلاح النفس بعدها والله الموفق بفضله وأما
الكبر فانه الخصلة المهلكة راسا اما تسمع قوله تعالى واستكبر وكان من
الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التى تقدح فى عمل وتضر
بفرع انما تضر بالاصل وتقدح فى الدين والاعتقاد اذا قويت وغلبت لا
تتدارك والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج سنا على صاحبها اربع افات احدها
حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله تعالى قال
الله عز وجل سأصرف عن ايانى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال
تعالى كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر الثانية المقت والبغض من الله
تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المتكبرين وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب
من ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه
وبخلت يده وسأخلقه الثالثة الخزى والنكال فى الدنيا والآخرة قال
حاتم رحمه الله احببت الموت على ثلثة على الكبر والحرص والحيلة فانا المتكبر
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدامه والحريص
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا و
المحتال لا يخرجه الله من الدنيا حتى يمرغه الله ببوله وقذره وقيل من
تكبر بغير حق اورثه الله ذلا يحق الريبة النار والعذاب فى العقبى على
ما روى ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى
واحد منهما القيته فى النار والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التى

تختص

تختص بك ولا ينبغي لاحد غيرك كما ان رداء الانسان وازاره يختص به لا يشاركه
غيره وان حصلة تقوتك معرفة الحق وفهم ايات الله تعالى واحكامه الذي هو
اصل الامر ثم تمتزلك المقت من الله تعالى والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا
يسع العاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه فلا يصلحها باز التها بالحذر والتحرز و
الاستعاذة بالله من ذلك وهو جل وعز ولي العصمة والتوفيق بمنه فهذه
بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات وحسب العاقل واحدة منها
فضلا عن الكل اذا اهمه امر قلبه وحامى عن امر دينه والله الموفق فان قلت
فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزوم التحفظ منها
فلا بد من معرفة حدها وحقيقتها بين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق الى
التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول
في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكرها هنا ما لا بد من ذكرها يقع
الغنى عنه فنقول وبالله التوفيق اما الامل فاكثر علمائنا انه ارادة
الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيد با
لاستثناء بمشيئة الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا
ان ذكرت حيوتك بانى اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم
والقطع فانت آمل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته
بالمشيئة والعلم من الله تعالى فتقول اعيش ان شاء الله تعالى او ان علم الله اني اعيش
فقد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حيوتك للوقت الثاني قطعا
فانت آمل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت
بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته
والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك تثبيت القلب

فافهم راشدا انشاء الله ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة فامل العامة
ان تريد الحيوة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة وضدها
قصر الامل قال الله تعالى ولهم الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء
لاتمام عمل خير فيه حظ وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون خير
معين لا يكون لعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في آفة لا تقوم بها
هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتدأ في صلوة او صوم او عين ان يحكم بانه
يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون فيه صلاح بل
يقيد ذلك بالاستثنا ويشترط الصلاح ليخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضد
هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب من الاستثناء لان النية
بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل فهذا حكم الامل فالنية المحمودة اذن قد
مست الحاجة اليها والى معرفتها مع انها الاصل الاصيل قالوا في حدها التام
الجامع انها النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل مستذب قبل سائر الاعمال
بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء فان قيل فلم جاز الحكم
في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال له لفقد الحظر اذ هو
في حال الابتداء ليس بشئ متراخ عنك ولثبوت الحظر في الاتمام ليتطهر به يقع
في وقت متراخ ففيه الحظر اذ هو حظر الوصول لا يدري هل يصل الى
ذلك ام لا وحظر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح او لا فاذن يجب
الاستثناء لحظر الوصول والتفويض لحظر الفساد فاذا حصلت الارادة
على هذه الشروط يكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل وآفته
فتامل جدا هذه هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه

ذكر

ذكر فجاءة الموت واخذه على غفلة وغرة وهو فى غرور وفتون فاحتفظ
بهذه الجملة وحصلها موفقا فان الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت
فى القيل والقال وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله واما الحسد هو
ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم تردزوالها
عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهى غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه
وسلم لا حسد الا فى اثنين الخبر اى لا غبطة الا فى ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد
اشعارا لمقاربتها فان لم يكن له فيه صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غير ايضا
فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد فالنصيحة وهى ارادة بقاء نعمة
الله تعالى على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف نعلم ان له فيها
صلاحا او فسادا النصيحة او يحسده فاعلم انه قد يكون لنا غالب الظن
بذلك وغلبة الظن منا تجرى مجرى العلم فى هذه المواضع ثم ان اشتبه
عليك فلا تريد زوال نعمة احد من المسلمين او بقاءها الا مقيدا بالتفويض
وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة النصيحة واما
حصص النصيحة المانع من الحسد هو ذكر ما اوجب الله تعالى من موالات
المسلمين وحصص هذا الحصص ذكر ما عظم الله تعالى من حق المؤمن ورفع من
قدره وما اعد من الكرامات العظيمة فى العقبى وما لك فيه من الفوائد
الجليلة فى الدنيا من التعاون والتظاهر فى الجماعات والجمعات ثم ما ترجو
من شفاعته فى الاخرة هذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك
ان تحسده فى نعمة اعطاه الله عز وجل والله ولى التوفيق بفضله واما
العجلة فانها المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر
دون التوقف فيه والاطلاع عليه والاستطلاع فيه والاستعجال اتباعه

فى العمل بر وضدها الاناة وهى المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاحتياط
فى الامور والنظر فيها والثانى فى اتباعها والعمل بها اما التوقف فضد التعسف
قال شيخنا الفرق بين التوقف والتانى ان التوقف قبل الدخول فى الامور
حتى يستبين له رشد والتانى بعد الدخول فيه حتى يؤدى الى الجزء منه حقه
ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الحظر فى الامور التى تعترض للانسان وضروب
الافات المخوفة فيها وذكر ما فى النظر والتثبت من السلامة وما فى التعسف و
الاستعجال من المدامة والملامة هذه واشالها مما يبعث على التانى والتوقف
فى الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف والله ولى العصمة برحمته واما
الكبر فاعلم انه خاطر فى رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة
خاطر فى وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه وكل واحد منهما عامى وخاصى
فالتواضع العامى هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر
فى مقابلة الترفع عن ذلك والتواضع الخاصى هو تمرين النفس على قبول الحق
من كان وضيعا او شريفا والتكبر فى مقابلته الترفع عن ذلك وهو
معصيته وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العامى ان تذكر مبداك ومنتهاك
وما انت عليه الحال من ضروب الافات والاقذار كما قال بعضهم

اولك نطفة مذرة ٤ واخرك جيفة قذرة ٤

٤ وانت فيها بينهما حامل العذرة ٤ وحصن التواضع الخاصى هو ذكر
عقوبة العادل عن الحق المتمادى فى الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر
والله الموفق برحمته **الخامس فضل البطن** ثم عليك بحفظ البطن
واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلا
واعمضها ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن ومنه تهيج الامور فى الاعضاء

من

من قوة وضعف وعفة وجماع ونحوه فعليك اذن بصيانته عن الحرام اولا
والشبهة ثم من فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة فى عبادة الله تعالى
فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك التجنب عنه لثلثة امور اولها حذرا من
نار جهنم قال الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم
نبت من حرام فالنار اولى به والثانى ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق
للخدمة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر قلت انا ليس الله
قد منع الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث عن مس كتابه قال العزيز
قائل ولا جنبا الا عابرى سبيل وقال لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة
والحدث ارهباج فكيف لمن هو منغمس فى قذر الحرام ونجاسة السحت
والشبهة ومتى يدعى الى خدمة الله تعالى العزيز ذكره الشريف قدسه وسجانه
كلا فلا يكون ذلك ابدا وقال يحيى بن معاذ الرازى الطاعة مخزونة فى
خزائن الله ومفتاحها الدعا واسنانها الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان
فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة
والثالث ان اكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود
عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون له من ذلك الا العنا والكد وشغل
الوقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من قايم ليس له من قيامه الا السهر وكم
من صايم ليس له من صيامه الا الجوع والظما وعن ابن عباس رضى الله عنهما
لا يقبل الله صلوة امرء فى جوفه حرام فهذه هذه واما فضول الحلال
فانه آفته العبادة وبليته اهل الاجتهاد وانى تاملت فوجدت فيه عشر
آفات هى اصول فى هذا الشان الاولى ان فى كثرة الاكل قسوة القلب

وذهاب نوره روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض
الصالحين بان المعدة كالقدر تغلى تحت القلب والبخار يرتفع اليه فلكثرة البخار
تكدره وتسخمه الثانية ان فى كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجها وابتعاثها للفضول
فى الفساد فان الرجل اذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لا يعينه
من حرام او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل
المشى اليه وان كان جايعا فيكون الاعضاء كلها ساكنة هادية لا تطمح الى شئ
من هذا ولا تنشط له ولقد قال الاستاذ ابو جعفر ان البطن عضو ان جاع
شبع ساير الاعضاء يعنى سكن فلا يطالبك بشئ وان شبع هو جاع ساير
الاعضاء وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان دخل
الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر
الافعال والافعال نبت يبدو منه الثالثة ان فى كثرة الاكل قلة الفهم
والعلم فان البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الدارانى اذ قال اذا اردت
حاجة من حوايج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل تغير العقل
وهذا علم ظاهر عليه من اختبر الرابعة ان فى كثرة الاكل قلة العبادة
فاذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبت عيناه وفترة اعضاؤه فلا يجئ منه شئ وان
اجتهد الا النوم فانه كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطينا فقد نفسك
زمينا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه تعاليق
فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التى اصيد بها بنى ادم فقال هل تجد لى شيئا
قال لا انك شبعت ذات ليلة فثقلت لنا عن الصلوة قال يحيى لا جرم انى
لا اشبع بعد هذا ابدا قال ابليس لا جرم انى لا انصح احدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع

فى

فى عمر الا ليلة واحدة فكيف من لا يجوع فى عمر ليلة ثم يطمع فى العبادة وقال
سفيان العبادة حرفة حانوتها الخلوة والآتها المجاعة الخامسة ان فى كثرة
الاكل فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما شبعت منذ
اسلمت لاجد حلاوة عبادة زنى وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقائى وهذه
صفات الكما شفيتى وكان رضى الله عنه كما شفا واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة وانما هو شئ وقر فى صدره
وقال الدار التى احلى ما يكون العبادة اذا التزق ظهرى ببطنى السنا دسته
ان فيه حظر الوقوع فى الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد روينا
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جرافا جرافا
السابعة ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله اولا وتهيئته ثانيا ثم باكله
ثالثا ثم بالفراغة عنه والتخلص رابعا ثم بالسلامة منه خامسا ان بيت شه
آفة فى البدن من الافات والعلل ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل
كل داء البردة يعنى التخمة واصل كل دواء الازم يعنى الجوع والحمية وعن مالك
بن دينار انه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت ثم فى
هذه الجملة طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل الثامنة
ما ينالك من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروى فى الاخبار ان شدة
الموت على قدر لذات الحلوق فمن اكثر من هذا اكثر له من ذلك والتاسعة
نقصان الثواب فى العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا
فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى
ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم وقال له ولا انقصك
من اجرك شيئا خصه بذلك فدل ان ليس النقصان الا ان يتفضل الله

تعالى عليه بذلك ولقد روى ان خالد بن الوليد أضاف عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وهيأ له طعاما فقال عمر رضي الله عنه هذا لنا فالفقراء المهاجرين
الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير المؤمنين
قال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد بانوا منا بونا
بينا وروى ان عمر رضي الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل
اداوة فيها ماء نبذ فيها تمرات فلما قرب لها عمر رضي الله عنه من فيه وجد
الماء باردا حلوا فامسك وقال اوه فقال الرجل والله ما الكوته حلاوة يا امير
المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه ذلك الذي منعني ويحك لولا الاخرة لشاركناكم
في عيشكم العاشر الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب فاحذر
الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها
الى تباب فهذه جملة العشرة وفي احدها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايتها
المجتهد بالاحتياط البالغ في الفتوى كيلا تقع في حرام وشبهة فيلزمك العذاب
ثم بالاقتصار من الحلال على ما يكون عدة على العبادة لله تعالى لئلا يقع في شر
وتبقى في الحبس والحساب والله تعالى ولي التوفيق فان قلت فبين
اولا احكم الحرام والشبهة وحدها فاقول لعمر الله لقد اشبعنا
فيه في اسرار معاملات الدين وذكرنا له كتابا مفردا من كتاب الاحياء لكنا
نشير الى كلمات مفردة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدى اذ مقصود هذا
الكتاب ان ينتفع به المبتدى في العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء
ما تيقنت كونه مملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم
يكن لك يقين بذلك ولكن يغلب على الظن انه كذلك فهو شبهة وقال
اكثر الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري مجرى

العلم

العلم فی کثیر من الاحکام فاما اذا تساوت الامارتان حتی یبقی شاکا لایکون لاحدها
ترجیح عندك فذلك شبهة یشبه انه حلال ویشبه انه حرام فاشتباه امر علیك
والتبس حاله ثم الامتناع عن الذی هو حرام محض حتم واجب وعن الذی
هو شبهة تقوی وورع وهذا اولی القولین عندنا فان قلت فما تقول
فی قبول جوایز السلاطین فی هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فیه فقال
قوم کل ما لا یتیقن انه حرام فله اخذه وقال آخرون لا یحل ان یؤخذ ما لا
یتیقن انه حلال لان الاغلب فی هذا العصر علی اموال السلاطین الحرام والحلال
فی ایدیهم معدوم وعن بزر وقال قوم ان صلات السلاطین تحل للغنی والفقیر
اذا لم یتحقق انها حرام وانما التبعة علی المعطی لان النبی صلی الله علیه وسلم قبل
هدیة المقوقس ملك الاسکندریه واستقرض من الیهود مع قوله تعالی اکالون
للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة رضی الله عنهم ایام الظلمة واخذوا
منهم فمنهم ابو هریرة وابن عباس وابن عمر وغیرهم رضی الله عنهم وقال آخرون
لا یحل من اموالهم شئ لغنی ولا لفقیر اذ هم مون بالظلم والغالب من حالهم
السحت والحرام والحکم للغالب فیلزم الاجتناب وقال آخرون ما لا یتیقن
انه حرام هو حلال للفقیر دون الغنی الا ان یعلم الفقیر ان عین الغصب فلیس له ان
یاخذه الا لیرده علی مالکه ولا حرج علی الفقیر ان یاخذ من مال السلاطین
لانه ان کان من ملك السلطان فاعطی الفقیر فله اخذه بلا ریب وان کان
من فیئ او خراج او عشر فللفقیر فیه حق وکذلك لاهل العلم قال علی رضی
الله عنه من دخل الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله فی بیت مال
المسلمین کل سنة مائتا درهم وروی دینار ان لم یاخذها فی الدنیا اخذها فی
الاخرة واذا کان کذلك فالفقیر والعالم یاخذ من حقه قالوا واذا کان المال

مخلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على مالكه وذريته فلا
مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليأمن بالصدقة على الفقير
ويهنى الفقير عن قبوله او ياذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن
للفقير ان ياخذ الامن عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه المسائل
لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول فيها نخرج عن
المقصود من الكتاب فانه اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من
كتب الاحياء تجده مشروحا مبينا ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في
صلاة اهل السوق وبزهم هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت بجارفتهم
وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذا صلاة الاحوان فالجواب انه اذا كان
ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصلة فقته
ولا يلزم البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء الظن بذلك الرجل
المسلم وحسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب
وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه
فحكم الشرع ان تاخذ ما اتاك ما ظاهره صلاح ولا تسئل الا ان تستيقن انه
غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه
غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا
فتردده فقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه
بما يشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء تسالني عنه ولم تسالني عن
هذا اللبن فقال وما قصته فقال رقيت قوما رقيا في الجاهلية فاعطوني هذا
فتقيا ابو بكر رضي الله عنه وقال اللهم هذا مقدرتي فابقي في العروق
فانت حسبه فهذا يدلك على وجوب البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر

في

فى الورع وحقه هذه فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه
فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل
الامر على التقى اضيق من عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما فى
الاصل واحد لكن فى الشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فما
لجايز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما مع تميزهما
واحد فى الاصل فافهم ذلك راشدا انشاء الله تعالى فان قلت اذا جاز
البحث والاستقصاء عن كل شئ واشتد علينا ما ياخذ فى هذا الزمان وتعذر
الامن بمرة على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم
ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه
وقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من
اهل الورع والسابقون الى الجبل لبنان وعين فاقتصروا على اكل الحشيش
وثمرات تافهة لا شبهة فيها لجال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الا على
فعليه ان يحتمل الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك لينال
منزلتهم واما ان اقام بين الناس واكل مما يتداولونه فى ايديهم فليكن عنده
بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار
ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر فى ذلك ولا يضره ان كان فى اصله
شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر وهذا قال الحسن البصرى فى
السوق فعليكم بالقوة ولقد بلغنى عن وهيب بن الورد انه كان يجوع
نفسه يوما ويومين وثلثة ثم يأخذ غيفا ويقول اللهم انك تعلم
انى لا اقوى على العبادة واخشى الضعف او الالم اكله اللهم ان كان

فيه شيء من خبث او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف في الماء فياكله
قلت هذا ان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما
من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على
مقدار وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو
عليم بما يفعلون فان قيل هذا اجاب الحرام فاخبرنا باجتناب الحلال وما
حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه العبد
يكون ذلك اداء ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حساب يقال له فاعلم ان احوال
المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ان ياخذ العبد مفاخر اكاثر اما هيا
مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعل الحبس والحساب
واللوم والتعبير وهو منكر وشر يستوجب عليه باطن فعل وهو التكاثر
والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصيته وذنب لقوله تعالى اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباحا مكاثرا مفاخرا
مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصد ذلك بقلبه
والقسم الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر
يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن
النعيم وقال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب والقسم الثالث ان ياخذ
في حال العذر قدرا يستعين به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك
فذلك خير وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عتاب بل يستوجب عليه
الاجر والمدح لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه
وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره

وسعيا

وسعيا على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما
قصد به هذا المقصود المحمود لله تعالى فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما
شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا
في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في
حال عنه وهو بحيث انه لم يأخذ يؤخذ وتقسيره ان يكون حاله ان لم ياخذ
ذلك ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح
فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر واما
القصد فانه يقصد به العدة والاستعانة على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر
بقلبه انزلوا ما فيه من التوصل الى عبادة الله لما اخذت لك فهذا ذكر
الحجة فلما حصل ذكر الحجة في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا خيرا
وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر
او يكون له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من
جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب يحتاج الى بصيرة و
قصد مجمل فانه لا ياخذ الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه
اذا سهى عن ذكر الحجة في حال اخذه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر
الحجة قال شيخنا فصارت الامور الثلثة معتبرة فيه كل واحد من وجه
يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا صلا والقصد المجمل
المقتضي عن بصيرة منزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فافهم
ذلك راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة هل يكون ذلك
معصية وهل يلزم عليه عذاب في هذا الاخذ بالعذر فرضا ام لا فاعلم
ان ذلك فضيلة وتسمية خيرا وحسنة والامر به امر تاديب والاخذ

بالشهوة شر وسيئة والنهى عنه نهى زجر وليس ذلك لمعصيته ولا يكون
عليه عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعبير فان قلت
فاهذا الحبس والحساب الذى يلزم العبد فاعلم ان الحساب انه تسئل يوم القيمة
عما ذا اكتسبت وفيما ذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبسان حبس
عن الجنة مدة الحساب يسئل لك وحبس في عرصة القيمة بين اهوالها ومخاوفها
عريانا عطشانا وكفى بذلك بليغة فان قيل فاذا اجل الله لنا هذا الحد
فاللوم والتعبير فاخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعبير لتركه الادب كمن
اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان
الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق الخلق لعبادته
وهو عبد لله تعالى من كل وجه فحق للعبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه يمكنه
ويجعل افعاله كلها عبادة من اى وجه امكنه وان لم يفعل ذلك واثر
شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير
تقدير والدار دار خدمته وعبادة لا دار تنعم وشهوة استحق اللوم و
التعبير من سيده فتامل هذا الاصل راشدا ولا قوة الا بالله تعالى هذه
الجملة التى اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فارعها
حقها واحتفظ بها جيدا تفز بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى
والله عز وجل ولى العصمة والتوفيق بفضله **فصل** فعليك
ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها
اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها افة وفتنة فانه من
هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا
او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب احيا

وكتاب

وكتاب الاسرار والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب
انى سالت الله تعالى ان يطلعنى على سر معالجة النفس وان يصلحنى ويصلح لى
فاقتصرت فى هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة اللفظ عزيزة المعنى
يقنع من تاملها ويدعه على واضحة من الطريق انشاء الله تعالى وهذا الفصل
يختص بنكت فى معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما الدنيا فحقك
ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من ثلثة اما انت من ذوى البصائر
والفطن فحسبك ان الدنيا عدو لله تعالى وهو حبيبك وولىّك وان
الدنيا نقيصة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوى الهمم فى عبادة الله
تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا بلغ شوقها ما يمنعك ارادتها وتشغلك
الفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما انت من اهل الغفلة لا بصيرة
لك تبصر الحقايق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى
اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لا تبقى
لها فاى فائدة اذن فى طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل
حيث قال: هب الدنيا تصير اليك عفوا اليس مصير ذاك الى زوال
ومادنياك الا مثل ظلّ ٥ اظلك ثم آذن بارتحال
فلا ينبغى لعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القائل فيما قال
اضغاث نوم او كظلّ زائل ان اللبيب بمثله لا يخدع
واما الشيطان فحسبك فيما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم وافضلهم عند الله يحتاج مع
ذلك الى ان يستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك

ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك لو خالطتهم ووافقتهم
فى اهوائهم امنت وافسدت امر اخرتك وان خالفتهم تعبت باذيّاتهم
وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تأمن ان يلجئوك الى معاداتهم
ومناواتهم فتقع فى شرهم ولانهم ان مدحوك وعظوك اخاف عليك الفتنه
والعجب وان ذمّوك وحقروك اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله
اخرى وكلا الامرين آفة مهلكة تتزاد كرحالك معهم بعد ما صرت فى القبر
بثلثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك فلا يكادون يذكرونك
كانهم لم يروك يوما ولم تزرهم فلا يبقى هنالك الا الله تعالى افلا يكون من
العجب العظيم ان تضيّع ايامك مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفا وقلة البقا
معهم وتترك حضرة الله تعالى الذى ترجع اليه احر الامر وحده ولا يبقى لك
الا هو ابد الابدين والحاجات كلها اليه والعقلاء كلهم عليه والاعتصام
كله فى كل حال وعند كل شدة وهو له وحده لا شريك له فتامل يا مسكين
لعلك ترشد ان شاء الله تعالى والله ولى الهداية بفضله واما النفس فحسبك
ما تشاهد من حالاتها وردّاة ارادتها وسوء اختيارها فهى فى حال الشهوة
بهيميّة وفى حال الغضب سبعيّة وفى حال المصيبة تراها طفلا وفى حال
النعمة تراها فرعونا وفى حال الجوع تراها مجنونا وفى حال الشبع نحتا لا
ان اشبعتها بطرت ومرحت وان جوّعتها صاحت وجزعت فهى كما قال
الاوّلون كحمار السوء ان اقتمته رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق
بعض الصالحين اه رذاة هذه النفس وجهلها بحيث اذا همت بمعصيته او
ابتعثت لشهوة فتنيتها او تشفعت اليها بالله ثم برسوله وبجميع انبيائه
وكتبه وبجميع السلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة
والجنة

والجنة والنار لا تعطى القياد بترك الشهوة ثم اذا استقبلتها بمنع رغيف فانها
تشكى وتترك شهولها لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل
عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا
تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن عاصم البلخى
انه قال نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله يقول
ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها
استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح اليهم وتتسامع الناس بها
فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل
على معرفة فاجابت فاسانت الظن بها وقلت الله اصدق فقلت لها اقاتل
العدو حاسرا فتكونين من اول قتيل فاجابت وعدة ايشئنا مما اراد بها
فاجابت الى ذلك قال فقلت يا رب بهتنى لها فانى ستم لها مصدق فكو
لها كانها تقول يا احمد انت تقتلنى كل يوم بمنعك اياى من شهواتى مرات
وبمخالفتك ولا يشعر بك احد فلك قاتلتك قتلت مرة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لى شرف وذكر قال
فقعدت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام فانظر الى خداع النفس و
غرورها ترانى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق
القائل واحسن فيما قال توق نفسك لا تأمن غوايلها
فالنفس اخبث من سبعين شيطانا فتبته رحمك الله لهذه
الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها بكل حال تصيب تسلم
انشاء الله تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى الخفية لها سوادا واعلم ان
ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر

الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي
والسيئات وهو التقوى وان شطر الاجتناب على الكمال اسلم واصلح وافضل
واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدئون من اهل
العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب وكل همتهم ان
يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولو البصائر
من اهل العبادة بشطر الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل
الى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر
الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثالث من العباد ليونس يا يونس
في الناس من حببت اليهم الصلوة فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود العبادة
بالثبات لله تعالى والصدقة والتضرع والابتهال ومنهم من حببت اليهم
الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا منهم من حببت اليهم الصدقة فلا يؤثرون
عليها شيئا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت
عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل
منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية
والاجتهاد فان حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل
امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم يبلغ الا احدهما فليكن
ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما
ينفعك قيام ليل وتعبه ثم تحبطه بارادة واحدة ما يغنيك صيام نهار
طويل ثم تفسده بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الشر
قليل الخير قال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه حال المريض ان معالجة

المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الحمية فان اجتمعا فكانك بالمريض
قد برأ وصح والا فالحمية به اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الحمية ولقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها
تغني عن كل دواء وكذا يقال ان الهند جل معالجتهم الحمية تمتنع المريض عن الاكل
والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ او يصح بذلك لا غير فيتبين لك بهذه الجملة
ان التقوى ملاك الامر وجوهره واهلها هم الطبقة العلية العليا من العباد
فعليك ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية الى ذلك والله تعالى ولي
التوفيق بفضله ورحمته **فصل** ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي
الاصول العين وحسبك فيها ان مدار الدين والدنيا على القلب وان حفظ
القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال علي رضي الله عنه من لم
يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني اللسان وحسبك انه فيه رجاك
وغنيمتك وعثرته نكبتك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان حفظ
العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين
والغيبة ونحوها تتلف عليك بلحظة ما تتعب فيه سنة واحدة بل ربما
وعشرا ولذلك قيل ما شيء احق بطول السجن من اللسان وفيما روي ان
احد العباد السبعة قال ليونس يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة
لم يتفقوا في عبادتهم على شيء افضل من الصبر على ترك الكلام في فضل
طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا يكون عندك شيء اكبر من حفظ لسانك
ولا تكون لشيء اعنى به من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر الانفاس
التي تكلمت بها في الفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق
ساعة حزن فيغفر الله لك فتريح رأس مالك او قلت لا اله الا الله فيكون

لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسال الله العافية فربما
يتفق حسن نظر فيستجيب الله دعوتك فتنجوت من بلية الدنيا والاخرة
والا يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع ان تفوت عن نفسك كل
هذه الفوائد الكريمة فتجعل ملبسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك
فيه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد احسن القائل في قوله

واذا هممت بالنطق في البا ... طل فاجعل كانه تسبيحا

والثالث البطن وحسبك انه مقصودك العبادة واه الطعام بذر العمل
وماءه يبذر وينبت واذا جئت البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطرات
تفسد عليك ارضك فلا تقلع ابدا من ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي
انه قال اذا صمت فانظر على اي شئ تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل
فكم من يا كل الكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الى الحالة ابدا وكم من
اكلة حرمت قيام ليلة ومن نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليناكل
الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط
البالغ الشديد في قوتك ان كان لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك
هذا في اصل القوت حتى يكون من وجه ثم عليك بالادب فيه والا
كنت حمالا للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا بيقينا بلا دليل عيانا ان
العبادة لا يجتنى منها شئ اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس على ذلك
وشاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة و
لذلك قيل لا يطلع في حلاوة العبادة مع كثرة الاكل واي نور في نفس
بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم
بن ادهم صحبت كثيرا من رجال الله في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت

الى

ابناء الدنيا فعظهم باربع قلهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم
كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا الناس فلا ينتظر رضا الرب و
من يكثر الفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل
انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وهي صارة الابدال ابدا الاخماص
البطون والصمت والاعتزال عن الناس وسهر الليل وعن بعض العارفين
الجوع رأس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغة وسلامة وعبادة وحلاوة
وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله تعالى واما القلب حسبك انه
اصل الكل ان افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وسائر
الاعضا اغصان ومن الشجرة تشعب الاغصان وتصلح وتفسد وانه
الملك وسائر الاعضا اتباع واركان واذا صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد
فسدت فاذن صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح
القلب وعمرانه واذا رايت فيه خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل
القلب وفساده ثم بالفساد فيه اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه
يصلح الكل بمرة فتستريح ثم امره دقيق عسر اذ هو مبني على الخواطر
وهي ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها مجهود طاقتك ففيه
اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام
بامره اكبر عند ذوي البصاير وعن ابي يزيد انه قال عالجت قلبي عشر
ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة فهذه هذه
ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في
الامور والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربعة من بين سائر
الخصال في هذا الموضع وخصصنا بالاحتراز منها لانها علل القراء خاصة

اذ هي بعثرى سائر الناس عموما والقراء خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى
الرجل القارئ يطول الامل ويعد بنية خير فيوقعه في الكسل والتوانى
في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة دعا
صالح فيحرم ذلك او في الدعاء على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن
نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه على ما اتاهم الله من فضله حتى ربما
يبلغ منه ذلك مبلغا يحمله على قبائح وفضائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر
ولهذا قال سفيان الثوري ما اخاف على دمي الا القراء والعلماء فاستنكروا
ذلك منه قال ما انا قلته انما قاله ابراهيم النخعي وعن عطاء قال قال لي
الثوري احذروا القراء واحذر وني معهم فلو خالفت او ذهم لي في رمانة فاقول
انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي الى سلطان جائر
وعن مالك بن دينار انا قبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادة
بعضهم على بعض لانى وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابيه اشتر لي
دارا بعيدة من القراء مالي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت
علي نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم معصرا
خده معبسا وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين
كانما جاز من الله تعالى منشور بالجنة والبراءة من النار او كانه استيقن السعادة
لنفسه والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين
من صوف وغيره ويتماوت وهذا ايضا هي الترفع والتكبر والايلاغ
بل ينافقه ولكن الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد السبخي دخل على الحسن وعليه
كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال الحسن مالك تنظر الى ثيابي
ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني انها كنز اهل النار اصحاب

الاكسيه ثم قال الحسن جعلوا الزهد فى ثيابهم والكبر فى صدورهم والذى
يحلف به لاحدكم بكسانه اعظم كبرا من صاحب المطرف بطرفه والى هذا
المعنى يشير ذو النون المصرى حيث قال لا تصوف فازدهى بالصوف
جهلا ٭ وبعض الناس يلبسه بحاله ٭ يريك مهانة ويريك كبرا ٭ وليس
الكبر من شكل المهانه ٭ تصوف كى يقال له امين ٭ وما معنى تصوفه الامانه
ولم يزد الاكه به ولكن ٭ اراد به الطريق الى الخيانه ٭ فاحذرايها الرجل
من هذه الافات الاربع سيما الكبر فان الثلثة الاول مدا حض لو زللت
فيها لوقعت فى العصيان والكبر مدحض لو وقعت فيه لوقعت فى بحار الكفر
والطغيان فلا تنس حديث ابليس وفتنته انه ابى واستكبر وكان من
الكافرين والرجوع الى الله عز وجل ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه جواد
كريم **فصل** وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعرفت
ان الدنيا لا بقا لها وان نفعها لا يفى بضرها وبتعاتها من كتا لبدن وشغل
القلب فى الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل فى الاخرة زهدت فى
فضولها فلا تاخذ منها الا ما لابد لك منه فى عبادة ربك وتدع النعم
والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم فى جوار رب العالمين الملك القادر
الغنى الكريم وعلمت ان الخلق لا وقا لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم
فيما يعينك ترك مخالطتهم الا فيما لابد لك منه فتنتفع بخيرهم وتجتنب
شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر فى صحبته ولا تندم على مفارقته وانسك
بكتابه وملازمتك اياه فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وافضل
تجده عند كل نايبة فى الدنيا والاخرة كما قال عيسى ابن مريم احفظ الله تجده
امامك حيثما توجهت وعلمت ان الشيطان خبيث قد تجرد لمعاداتك

فاستعذت بربك القادر والقاهر من هذا الكلب اللعين فلا تغفل عن مكايده
ومصايده فتطرده بذكر الله تعالى ولا تعتنا بذلك فانه يسير اذا ظهرت
عزيمة الرجال وانه كما قال الله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما قال ما الدنيا ما ابليس لما الدنيا
فامضى فحلم وما بقى فاماتى واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع
وعصى فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها الى ما يضرها ويهلكها
فنظرت لها رحمة لها نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون فى العواقب لا نظر
الجهال والصبيان الذين ينظرون الى الحاد ولا يفطنون لغائلة الاذى ويرقى
من مرارة الدواء فالجمتها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة
من فضول وكلام ونظر وتلبيس بخصلة فاسدة من طول امل او عجل او حسد
مسلم او تكبر فى غير موضع او اكل بمحض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها
منه بد ولا اخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى ذلك وقد وسع الله الامر على عباده
رحمة واغناهم عن جميع ما يضرهم فامرديهم فاى حاجة الى ذلك فان
الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى هون شئ اذا رابنى شئ تركته
فان النفس ستليف وتتعود ما عودتها وانها كما قال القائل فالنفس
راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع ... وقال اخر هى النفس
ما حملتها تتحمل وقال اخر وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان اطمعت
تاقت والا تسلت فاذا علمتها وصفناه كنت من الزاهدين الراغبين
فى الاخرة واعلم ان من سمى باسم الزاهد فقد سمى بالفاسم ممدوح وكنت
من المنفردين المنقطعين الى الله تعالى الذين هم اهل الانس وحشم رب
العزة فيكون كما قال القائل تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا بمولاهم

فالزمهم

فالزمهم باب مرضاتك وعن سائر الخلق اغناهم بك وكنت من المجاهدين في
الله الخواص من عباده الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكنت من المحققين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ افضل
من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوهم الى قبيح ولا
نفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة الشديدة وراك
وسبقت العوايق كلها الى مقصودك ولا هو لنك فانزع الاستعانة بالله
والاعتصام به لهيّن نسأل الله تعالى وهو خير مسؤل ان يمدك وايانا بحسن
توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والاستعانة به في كل معضل
فبيده الخلق والامر وهو على كل شئ قدير فهذا ما اوردناه ذكره في هذا
الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الباب الرابع في**
**العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض** ثم عليك يا طالب العبادة وفقك
الله بكف العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى فتسدّ سبيلها عنك
ولا تشغلك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة
النفس بذلك وانا كفايته بالتوكل فعليك بالتوكل على الله في موضع الرزق
والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة ويتمشى لك الخير
حقه فانه من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله بسبب الحاجة
والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن
كعامة الراغبين واما بذكر وسوسته بالقلب كالمجتهدين المخلصين
والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا
للمتوكلين بل نقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشئ معلوم
فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا او آخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي

محمد يقول انما الامور يتمشى في العالم لرجلين متوكل او متهوّر قلت انا وهذا
كلام جامع في معناه فان المتهوّر يقصد الامور والمتوكل يقصد الامور
على قوة وبصيرة فكما لا يفتر لطمانينته بوعد الله تعالى وتمام ثقته بضمانه
فلا يلتفت الى اسناد يخوّفه ولا شيطان يوسوسه فيفور بمقاصده ويظفر
بمطالبه واما المعلق الضعيف ابدا بين تكول وتردّد وقصور وتخيّر كالحمار
في معلفه والدجاج في ثقبته يرمق ما تعوّد من صاحبه لا يكاد ينفكّ من
ذلك بقاعدة نفسه عن معالي الامور والقطعت فلا يكاد يقصد امرا
شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر ويتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء
الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا باقتطاع قلوبهم عن انفسهم
واموالهم واهليهم اما الملوك فبنا شروط الحروب ويكافحون الاعداء
اما هكذا واما ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية وقيل
ان معاوية رضي الله عنه لما نظر الى العسكر يوم صفين قال من اراد ان يكون
خاطره بعيظمه واما التجار فيركبون المهالك برّا وبحرا ويطرحون انفسهم
واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما
فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك ذخ عظيم ومال
جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه ورقّ عزمه لا يكاد
يقطع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول
عمره ولا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ذخ عظيم كالتجار المخاطرين
فان نال في سوقه رجحا على بضاعته درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه
بشيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فراس مالهم
هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع القلب عن العلايق فلما احكموها وحصلوا

حقها

تفرّغوا العبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام
القيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا اقوياء العبّاد ورجال
الدّين واحزان الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤن
ويقصدون الامور العظام علما وعبادة كما يشاؤن لا عائق لهم فلا حاجة
دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد وإليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من سرّه ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله
اوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص لو ان رجلا يتوكل على الله بصدق
النية لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم فكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن
ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في البيداء كانه سبيكة فضة قال قلت يا غلام
الى اين قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي
يعتمد على حفظ السموات والارض يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا
راحلة فلما دخلت مكة اذا هو في الطواف يقول ٥ يا نفس سيحي ابدا
ولا تحيي احدا ٥ الا الجليل الصمدا ٥ يا نفس موتي كمدا ٥ فلما رآني قال
يا شيخ انت تعبد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع الحامل الاصم بلغني
انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال زادي اربعة اشياء قال
ما هي قال ارى الدنيا والآخرة مملكة لله وارى الخلق كلهم عبيد الله عز وجل
وارى قضاء الله عز وجل نافذا في خلقه في جميع ارض الله ولقد
صدق من قال ٥ ارى الزهاد في روح وراحة ٥ قلوبهم عن الدنيا
مراحة ٥ اذا ابصرتهم ابصرت قوما ٥ ملوك الارض شيمتهم سماحة ٥
واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله في هذا الشأن الذي في
تركه الحظ العظيم والامر الكبير قلت اليس الله تعالى قد ضمن الرزق بالخلق

فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل انه الرزق من الله لا من غيره كالخلق ثم
لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال عز وجل ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف
بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف
بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق ثم لم يكتف
بذلك كله حتى امر بالتوكل والبلغ والانذار فقال فتوكل على الحي الذي لا يموت
وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر قوله ولم
يكتف بوعده ولم يطمئن لضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده
ووعيده فانظر ماذا يكون حاله واية محنة تجئ من هذا وهذه والله مصيبته
شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم
لابن عمر رضي الله عنهما كيف انت اذا بقيت في قوم يخبأون رزق سنتهم
لضعف اليقين وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه
وقالت الملائكة عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم
اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني لو عبدت الله
عبادة اهل السموات والارض لا يقبل الله منك حتى تصدقه قيل وكيف
نصدقه قال تكون آمنا بما تكفل الله من امر رزقك ردي جسدك فارغا
لعبادته ولقد قال هرم بن حيان لاويس اني تارك اهلي واقيم فاوي بيدي
الى الشام فقال كيف المعيشة بما قال اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك
فاينفعه الموعظة وبلغنا ان بنانا شابا تاب على يدي بايزيد البسطامي
فسأل ابو يزيد عن حاله قال ينبش عن القبور فلما رأوهم الى القبلة
الارجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك همة الرزق حولت وجوههم
عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه رأى رجلا من اهل الصلاح فسأله عن حاله

فقال

فقال هل سلمت بايمانك قال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسئل الله ان يصلحنا
بفضله ولا يؤاخذنا بما نحن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت
فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد فيه في امر الرزق فاعلم
انه انما يتبين لك هذا باربعة فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده
وحصنه فاما اللفظ فانما هو توكل من تفعّل من الوكالة فالتوكل
على احد هو ان يتخذه لمنزلة الوكيل القايم باسر الضامن لاصلاحه
الكافي له من غير تكلف او اهتمام هذه جملة واما الموضع فاعلم ان
التوكل اسم يطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو
الثقة بالله تعالى فانه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا
واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر
الله عز وجل لك اذا نصرته وجاهدت قال تعالى فاذا عزمت فتوكل
على الله وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة
فان الله تعالى متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته ويتمكن به من عبادته
قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين صلى
الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعا
وهذا هو الاشهر الاغلب منه اعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود
في هذا الفصل فموضع التوكل اذن هو الرزق المضمون فيما قال العلماء
بالله تعالى وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق
اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء

وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله لهذا النوع والتوكل
يجب بازائه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته
بابداننا وظن ما يسد خلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية
كلاما استحسنه على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله
تعالى لثلثة اشياء احدها ان سيد العبيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية
مؤنة العبيد كما ان على العبد خدمة السيد والثاني خلقهم محتاجين
الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم
واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه في مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب
ان يكفيهم امر ذلك فيوصله اليه والثالث ان كلفهم الخدمة وطلب
الرزق شاغل فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم
يحط باسرار الربوبية والقائل بان الله عز وجل عليه واجب تائه
وقد اوهنا في الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما
الرزق المقسوم فهو ما قسم الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ مما يأكله
ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا
ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر عما كتب بعينه قال صلى الله عليه وسلم الرزق
مقسوم مفروغ ليس بقوة تقي تزايده ولا بضعف فاجر يناقصه واما
المملوك فلا يملك كل واحد من اموال الدنيا الا على حسب ما قدر الله عز وجل
وقسم له ان يملكه وهو من رزقه الله تعالى قال الله تعالى انفقوا مما رزقناكم
اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى المتقين من عباده بشرط
التقوى حلالا لا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون
منها

منها فاعلم واما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب على الله
بالانقطاع اليه والايأس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب مع الله لموضع
المصلحة بترك تعليقه على شئ دونه وقال الشيخ ابو عمر التوكل ترك التعلق
والتعليق ذكر قوام بنيتك بشئ دون الله وقال شيخي الامام التوكل والتعليق
ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله والتعليق ذكر قوامها
عن دون الله تعالى والاقاويل عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان
توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هو من
الله عز وجل لا باحد دون الله ولا بحظام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب
ثم الله تعالى ان شاء سبب لك مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته دون
الاسباب والوسائط فاذا ذكرت ذلك بقلبك فتوطنت عليها وانقطع
القلب عن المخلوقين والاسباب برمته الى الله تعالى فقد حصل التوكل حقه
هذا حده واما حصن التوكل الباعث هو ذكر ضمان الله تعالى وحصن
حصنه ذكر جلال الله عز وجل وكماله في علمه وقدرته ونزاهته عن الخلف
والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار يمينه على
التوكل على الله في امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق
بحال ما فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام لا يمكننا
طلبه اذ هو شئ من فعل الله تعالى بالعبد كالحيوة والموت لا يقوى العبد
على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد
طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى
وفي ضمان الله عز وجل واما قوله تعالى وابتغوا من فضل الله المراد العلم
والثواب وقيل بل هو رخصة او هو امر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى

الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن لهذا الرزق المضمون اسباب
فهل يلزمنا طلب الاسباب قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة بالعبد
اليه اذ الله تعالى يفعل بسبب وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم
ان الله تعالى ضمن لك ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا
يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي يتناول لا عز والذي
يصير سبب غذائه وتربيته لا عز فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه
من ان يحصل له فلا يصح تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا
في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وباجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر
الله ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه ليس
بامر لازم للعبد قال قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك
الطلب فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل
لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا خلافا
لما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا
ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في
الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص
لكان للاسى والفرح موضع اذ هو وقت وتوان حتى فاته او جده وشم
حتى حصله وقد صلى الله عليه وسلم للسائل هات لو لم تاته لاتتك فان
قيل فالثواب والعقاب ايضا في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وترك

موجب

موجب العقاب فهل يزيد بالطلب او ينقص بالترك فاعلم ان طلب الثواب
انما وجب من حيث ان الله تعالى امر به امرا حتما مطاعا واوعد على تركه ولم
يقض الثواب على غير فعل منا فزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد
والفرق بينهما في نكتته وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان
قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل وهو الارزاق و
الاجال اما ترى كيف ذكرها الله غير مشروط قال تعالى وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اربعة قد فرغ منهن
الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط
بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف ذكرها الله عز وجل في كتابه
معلقا بفعل العبد قال تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين
يجدون الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل لك انك
لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا وتارك كافرا غامرا وقانعا غنيا بل ان
هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك هو تقدير العزيز العليم وتدبير الملك
الحكيم وانشد ابو بكر محمد بن سابق الصقلي الواعظ بالشام وكم
قوي قوي في تقلبه مهذب الرائ عنه الرزق منحرف ٭ وكم ضعيف
ضعيف في تقلبه ٭ كانه من خليج البحر يغترف ٭ هذا دليل على ان الآله له
في الخلق سر خفي ليس ينكشف ٭ فان قلت هل ندخل البادية بلا
زاد فاعلم انه ان كان لك قوة القلب بالله تعالى والثقة البالغة بوعده
تعالى فادخل والا فكن كالعوام بحيث يقدرهم وقد سمعت الامام ابا المعالي

رحمه الله يقول من جرى مع الله عزوجل على عادة الناس جرى الله معه على
ما هو عادة الناس فى كفاية المؤنة وهذا كلام حسن جدا وفيه فوائد لمن
تأمله فان قلت اليس الله تعالى يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى
فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد الاخرة ولذلك قال خير الزاد
التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها والثانى انه كان قوم لا يأخذون
زادا فى طريق الحج اتكالا على الناس ويسألون ويلحفون ويؤذون الناس
فأمروا بالزاد امر تنبيه على ان اخذ الزاد من مال حيز من اخذ مال الناس
والاتكال عليهم وكذلك تقول فان قلت فالمتوكل هل يحمل الزاد معه
فى الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق القلب به بانه لا محالة رزقه
وقوامه انما تعلق القلب بالله عزوجل ويتوكل عليه ويقول ان
الرزق مقسوم مفروغ عنه والله تعالى ان شاء اقام بنبية او بغيره وربما
يحمل بنية احوط بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشان فى اخذ الزاد
وتركه انما الشان فى القلب لا تعلق قلبك ايها الابو عبد الله عزوجل وحسن كفايته
وضمانه فكم من حامل الزاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك للزاد
وقلبه مع الزاد دون الله فالشان اذا فى القلب فافهم هذه الاصول تكف
المؤنة ان شاء الله تعالى فان قيل فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد
وكذلك الصحابة والسلف رضى الله عنهم يقال له فلا جرم ان ذلك مباح
غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه وتعالى
فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى
وتوكل على الحى الذى لا يموت اعصاه فى ذلك وعلق قلبه بطعام
او شراب او درهم او دينار كلا وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع

الله

الله عز وجل وتوكل عليه كما امره بل انه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم
يمد يده الى مفاتيح خزائن الارض كلها وانما كان اخذ الزاد سنة ومن السلف
الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد والمعتبر القصد الذي
اعلمناك فانتبه من رقدتك فان قلت فايهما افضل اخذ الزاد ام
تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الحال ان كان مقتدى بدير بك
ان اخذ الزاد سباع او ينوي به عون مسلم او اغاثة ملهوف ونحو ذلك
فالاخذ افضل وان كان منفردا قوي القلب بالله عز وجل فيشتغله الزاد
عن عبادة الله فالترك افضل فتفهم هذه الجملة واحتفظ راشدا وبالله
الله التوفيق العارض الثاني الاحظار والمخافات واراداتها وارتكابها
وقصدها وانما كفايتها بالتفويض فعليك بتفويض الامر كله الى الله سبحانه
وتعالى وذلك لامرين احدهما الطمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت
خطرة مبهمة لا تدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب قائم
النفس لا تدري تقع في صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى الله سبحانه وتعالى
علمت انك لا يقع الا في صلاح وخير فيكون امنا من الخطر والمخافة مطمئن
القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكم
الشيخ يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح وقد
انشد في ذلك ان من كان ليس يدري ٥ ما في المحبوب صنع له والمكروه ٥
لحري بان يفوض ما يعجز عنه الى الذي يكفيه ٥ الاله البر الذي هو بالزافه
احنى من امه وابيه ٥ والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في
الاستقبال وذلك ان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير
وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في حلية شهد وانت جاهل بالعواقب

والاستبداد فاذا اردت الامور قطعا واخذت فيها باختيارك متحكما فاسرع
ما تقع في هلاك ولم تشعر ولقد حكي انه بعض العباد وكان يسأل الله تعالى
ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية فاني الا ذلك فاظهر الله تعالى له فلما
راه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك
وعاقبتك فاعتبر بقوله وقال في نفسه ان عمري بعيد فاعمل ما اريد ثم انوب
فوقع في الفسق وترك العبادة فهلك ففي هذا ينبهك على ترك الحكم في
ارادتك والنجاح في مطلوباتك ويحذرك طول الامل ايضا فانه الآفة
العظيمة ولقد صدق القائل واياك المطامع والاماني • فكم امنية
جلبت منية • واما انا فوضت الامر الى الله سبحانه وتعالى وسالته ان يختار
لك ما هو صلاحك لم تلق الا الخير والسداد ولم تقع الا على الصلاح قال الله
تعالى حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقه
الله سيئات ما مكروا اما ترى كيف اعقب تفويضه الوقاية من السوء والنصر
على الاعداء وبلوغ المراد فتامل موفقا فانه قلت بيت لنا معنى التفويض
وحكمه فاعلم ان ها هنا فصلين بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض
والثاني معناه وحده وحده واما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة
مراد يعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال
كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد يعلم قطعا
انه خير كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم لا موضع
للتفويض فيه اذ لا حظ في شر ولا شك انه خير وصلاح الثالث مراد لا يعلم
يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا
موضع التفويض فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح

فان

فان قيدت ارادتك الاستثناء هو تفويض وان اردت دون الاستثناء هو
طمع مذموم منهى عنه فموضع التفويض اذا كل مراد فيه حظر وهو ان لا تستيقن
صلاحك فيه واما معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار
ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابى محمد
السجزى هو ترك اختيارك المخاطر على المختار ليختار لك ما هو خير لك فقال
الشيخ ابو عمر هو ترك الطمع والطمع ارادة الشئ للمخاطرة بالحكم فهذه عبارات
المشايخ والذى نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما
لا تامن فيه الحظر وضد التفويض الطمع والطمع فى الجملة يجرى على وجهين
احدهما فى معنى الرجاء تريد شيئا لا حظر فيه او مخاطرة بالاستناء
وذلك ممدوح غير مذموم كما قال تعالى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس فيما نحن فيه نسبل هنا
والثانى طمع مذموم قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل
هلاك الدين وفساده الطمع وهلاكم الورع وقال شيخنا الطمع المذموم شيئان
سكون القلب الى منفعته مشكوكة والثانى ارادة الشئ بمخاطرة بالحكم وهذه
الارادة تقابل التفويض لا عيز فاعلم ذلك فاما حصن التفويض هو ذكر خطر
الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن
الاعتصام عن مزلق الخطر والاستناء عن الوقوع فيها الجهلك وغفلتك
وضعفك والمواظبة على هذين الذكرين يحملك على تفويض الامور كلها
الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والاستناء عن ارادتها الا بشرط الخير
والصلاح هذه هذه وبالله التوفيق فان قيل وما هذا الخطر الذى
توجبوه التفويض لاجله فى الامور فاعلم ان الخطر فى الجملة خطران خطر

الشك وانه يكون اولا يكون وانك تصل اليها ولا تصل وهذا يحتاج الى الاستثنا
ويقع في باب النية والاصل والثاني حظر الفساد بان لا تستيقن فيه
الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارات
الائمة في الحظر فمن بعضهم ان الحظر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة ويمكن
ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا يجامعها ذنب اذ لا حظر اذ لا
يمكن دون الايمان نجاة فاذن يصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم وقال
الاستاد الحظر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال بالعوارض
اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن والفرائض
الا ترى ان من تضيق عليه وقت الصلوة فقصد اداها فعرض له
حريق او غريق يمكنه الاشتغال بانقاذه كان اولى من الاقبال على
صلوته فلا يصح اذا ارادة المباحات والنوافل وكثير من الفرائض بالحكم
فان قيل كيف يصح ان يفترض الله على عباده شيئا فيوعدهم على تركه
ثم لا يكون لهم صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا قال ان الله لا يامر العبد
بشئ الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث
لا يمكنه العدول عن ذلك الا وله فيه صلاح وانما ربما يسبب الله له عند الاجله يكون
العدول عن احد الامورين اولى من الاشتغال بالامر كما ذكرنا فيكون العبد
في ذلك معذورا بل لازما جورا الا بترك هذا الفرض بل بفعل الذي هو اولى
ولقد سمعت الامام يقول ان الذي افترض الله على عبده من الصلوة والحج
والصوم ونحوه ففيها صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم قال
فاتفق رأينا على ذلك فبقي المباحات والنوافل اذن في هذا الحكم فاعلم
ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق فان قيل هل يأثم

المفوض

المفوض الهلاك والفساد والدار دار محنة فاعلم انه في الاغلب لا يفعل بالمفوض
الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك رجما يخذله فيقع عن منزلة
التفويض والاصلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة التفويض وبه قال
الشيخ ابو عمرو قيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله تعالى والخذلان
والقصور عن منزلة التفويض مما لا يقع غير التفويض اذ لا شك في فساده
ذلك والتفويض انما يقع فيما شك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين
عند شيخنا اذ لولا ذلك لما قويت الباعث على التفويض فان قيل فهل يجب
ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى
فلا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة من
فعله الا ترى انه قد للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ان ناموا طول الليل الى
طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة
افضل من النوم وقد يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل
ويقدر له الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان التجرد لعبادة الله افضل
فانه هو بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح
يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر افضل وانفس لكن لما
علم ان صلاح علته في ماء الشعير والمقصود للعبد النجاة عن الهلاك لا
الفضل والشرف مع الفساد والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا
فاعلم ان الصحيح عندنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه ذلك
لان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفوض ولا افضل هو يريد من الله تعالى
ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اجعل دوائي ماء
السكر دون ماء الشعير اذا كان لي صلاح في كلها ليحصل لي الفضل والصلاح

جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله تعالى الصلاح في غير الافضل ان يكون
راضيا بذلك فان قيل فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان
يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ظاهر وهو ان العبد يعرف الافضل من
المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد بالحكم ثم معنى اختيار
الافضل ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له
ذلك ويقدره لان العبد تحكما في شيء من ذلك فاعلم فهذه جملة من
دقيق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مستمالية لما تعرضنا لايراده
لانه تلاطم بحار علوم المكاشفة مع اني اقتصرت على النكت المقتضبة
في هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به محو العلماء والمبتدئون
انشاء الله تعالى **العارض الثالث القضاء وورود انواعه** واما كفايته
في الرضا به فعليك ان ترضى بقضاء الله تعالى وذلك لامرين احدهما التفرغ
للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء فيكون همومك مشغولا القلب ابدا
تأيها لماذا كان كذا ولماذا كان كذا ولماذا لا يكون كذا فاذا اشتغل
القلب بشيء من هذه الهموم كيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب
واحد وقد ملأته من الهموم وما كان من امر الدنيا وما يكون فما فاز
موضع بقي فيه لذكر العبادة وفكر الآخرة ولقد صدق شقيق ان
حسن الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك
هذه والثاني من الامرين حظها في السخط من غضب الله تعالى ولقد رضينا
في الاخبار اه نبيا من الانبياء شكا بعض ما ناله من المكروه الى الله تعالى
فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا
بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي اتريد اه غير الذي

لاجلك

لاجلك اوابدلا اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد و
يكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك
مرة اخرى لاسلبنك حجب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالي قلت
فليسمع القايل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهايل مع ابنيائه
واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع قوله تعالى لئن تلجلج هذا في
صدرك مرة اخرى فهذا في حديث النفس وتردد القلب فكيف من يصرخ
ويستغيث ويشكو وينادي بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن
على رؤس الملا ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن سخط مرة فكيف لمن
هو في السخط على الله تعالى جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف لمن شكا
الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو
عنا ويغفر لنا سوء ادبنا ويصلح لنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين فان
قيل فما معنى الرضا بالقضا وحقيقة ذلك فاعلم ان علمائنا قالوا الرضا
ترك التسخط والتسخط ذكر غير الذي قضا الله تعالى بانه اولى به واصلح
له فيما لا يستقيم فساده وصلاحه هذا شرط فيه فاعلم ذلك فان
قلت اليس الشرور والمعاصي بقضا الله وقدره فكيف يرضى
العبد الشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضا وقضا الشر
ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا
رحمهم الله المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب
الرضا فيها بالقاضي والقضا والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انها
شدة والخير يجب فيه الرضا بالقاضي والقضا والمقضي وعليه ذكر
المنة من حيث انه خير وفقه والشر يجب عليه الرضا بالقضا والقاضي

والمقضى به حيث انه مقضى له من حيث انه شرط كونه مقضيا يرجع الى
القضاء والقاضى بالحقيقة وهذا كما انك ترضى مذهب المخالف ان يكون
معلوما لك لا ان يكون لك مذهبا ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا
والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا المذهب فكذلك المقضى
بالشر فان قلت فالراضى هل يكون مستزيدا قيل لك نعم بشرط الخير
والصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضا بل يدل على الرضا هو اولى
لان من اعجب بشئ ورضى ذلك استزاد منه وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا احضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفى غيره يقول
وزدنا خيرا منه وفى موضع من الموضعين لم يدل على انه غير راض بما قدر
الله تعالى من ذلك فان قلت فلم يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم
الاستثناء بشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما تكون بالقلب
وانما اللسان عبارة عن ذلك فلا يعتبر بترك عبارة مع حصوله
بالقلب فاعلم ذلك موفقا **العارض الرابع الشدائد والمصايب** وانما
كفايتها بالصبر فعليك بالصبر فى المواطن وانما ذلك لاربع احدها الوصول
الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة كله على الصبر
واحتمال المشقات فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شئ منها بالحقيقة ومن
ذلك ان من قصد عبادة الله وتجرد لها بحقا استقبلته شدائد ومحن
ومصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفى نفسها مشقة ولذلك
كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يثاب فعل العبادة الا
بقمع الهوى وكف النفس اذ هى زاجرة عن الخير والرشد ومخالفته
الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها ان العبد اذا فعل

الخير

الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا يفسد عليه والا بقاء على العمل اشد من
العمل وثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها فلا بد من الابتلاء بشدائدها
ومصايبها وذلك عدة اقسام المصيبة في الاهل والقربات والاخوان
والاصحاب بالموة والفقد والفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع في
العرض بقبال الناس اياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه
وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصايب لذعة وحرقة
من نوع غير نوع الاخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف
من التفرغ للعباده ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة
ابدا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الامثل
فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة استقبله هذه المحن
فاذا لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل
عن العبادة فلا يصل الى شئ من ذلك ولقد اعلمنا الله تعالى بالتقاء
المحن والمصايب وابتلائنا بها حيث ذكره واكده فقال لتبلون في
اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم من
انواع البلاء فان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال فان من
عزم على عبادة الله يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه
على احتمال المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير آلته
واتاه من غير جهته ولقد ذكر عن الفضيل قال من عزم على قطع طريق

الاخرة فليجعل فى نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر
فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر
الوقايع بعضها على بعض والثانى من الامرين ما فى الصبر من خير الدنيا و
الاخرة فمن ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا معناه
من يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد ومنها الظفر بالمراد قال تعالى
وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف
فى جواب يعقوب ان ابانا صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
وفى هذا المعنى لا يتأسى وان طالت مطالبته اذا استعنت بصبر ان
ترى فرجا • اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته • ومدمن القرع للابواب
ان يلجا • ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا ومنها ثناء الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين الى قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
ومنها المحبة من الله تعالى قال تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها
الدرجات العلى فى الجنة قال تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ومنها الكرامة العظيمة قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها
ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام الخلق وعدهم وتحصيلهم
قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من
سيد ما جبنا اكرمه وكل هذه الكرامات فى الدنيا والاخرة يعطيها
على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة فى الصبر قال صلى
الله عليه وسلم ما اعطى احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر

رضى

رضي الله عنه جميع خير المؤمن في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل حيث
يقول الصبر مفتاح ما يرجى فكل خير به يكون
اصبر وان طالت الليالي فربما امكن المحذور
وربما نيل باصطبار ما فيل هيهات لا يكون
ولبعضهم يقول صبرت وكان الصبر منجى تحيتي وحسبك ان الله
اثنى على الصبر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل
المجهود فيها تكن من الفائزين والله تعالى ولي التوفيق فان قلت
فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر في طريق اللغة الحبس
قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اي احبس نفسك معهم
وانما يوصف الله تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين
فلا يعجلهم ثم المعنى الذي هو من شتائي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس
عن الجزع والجزع فيما قال العلماء ذكرا اضطرارك عن الشدة وقيل بل ارادة
الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة
ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتاخر ولا فائدة في الجزع بل
فيه الضرر والخطر وحصن هذا الحصن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه و
كريم الاجر في ذلك لديه فهذه هذه وبالله التوفيق **فصل** فعليك
بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربع وازاحة علتها
والا فلا تدعك تذكر مقصودك من العبادة وتفكر فيها فضلا عن ان
تدركها وتحصلها واعلم ان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا وآجلا
ثم ان اعظمها واعضلها امر الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة
الخلق انتبت نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وغمومهم

تعريف الجزع

وضيعت اعمارهم واعظمت بتقحم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله عز
وجل وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في
ظلمة وغفلة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الاخرة مفاليس بين
ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله تعالى بفضله فانظركم اية انزل الله
تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه في ذلك ولم يزل الانبيا
والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب
ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لا يستدون ولا
يتقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يخافون ان يفوتهم غدا او عشا
واصل ذلك كله ترك التدبر لايات الله عز وجل وقلة التفكر في صنايع
الله تعالى وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل
الا قوال الصالحين مع الاسترسال لوساوس الشيطان والاصغاء الى
كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت
العادات في قلوبهم فيودي بهم ذلك الى ضعف القلب وقلة اليقين
واما الاخيار الذين هم اولوا الابصار وارباب الجد والاجتهاد ابصروا
طريق السلامة فلم يعبئوا باسباب الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكتفوا بمتابعة
القلب ونقوا باليات الله وابصروا طريقته فلم يلتفتوا الى وساوس
الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان بشئ
قاموا معه بالمناقشة والمرافعة والمخالفة حتى ولوا الخلق عنهم وانعزلوا
عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما
ذكر عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه
ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا راحلة ولا سبب فعزم على نفسه

ان

ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلّي تحت كل ميل من
اميالها الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى
ان الرشيد حجّ في بعض تلك السنين فراه تحت كل ميل يصلي فقيل له هذا
ابراهيم بن ادهم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشأ ابراهيم
يقول ۞ نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا ۞ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع ۞
فطوبى لعبد اثر الله ربّه ۞ وجاد بدنياه لما يتوقّع ۞
وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس له الشيطان
بانك متجرد وهذه بادية لا عمران فيها ولا اناس فعزم على نفسه بان يمضي
على تجرّده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس ولا ياكل شيئا
حتى في فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومرّ على وجهه قال
فسرت ما شاء الله فاذا بقافلة قد ضلّت الطريق وهم يسيرون فلمّا
ابصرتهم رميت نفسي الى الارض لعلهم لا يبصرونني فيسيّرهم الله تعالى حتى
وقفوا عليّ فغمضت عيني فدنوا منّي وقالوا هذا منقطع غشي عليه من الجوع
والعطش فهاتوا عسلا وسمنا نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بسمن
وعسل فشددت فمي واسناني فاتوا بسكين ليعالجوا فمي حتى يفتحوا
فمي فضحكت وفتحت فمي فلما رأوا ذلك قالوا مجنون انت قلت لا
والحمد لله ربّي واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض
مشايخنا قال نزلت بعض اسفاري مسجدا ايام التعليم وكنت متجرّدا
على عادة اوليائنا فوسوس لي الشيطان ان هذا مسجد بعيد عن الناس
لو صرت الى مسجد بين الناس لرأوا اهله وقاموا بكفايتك فقلت
لا ابيت الا ها هنا وعلى عهد الله ان لا اكل شيئا الا الحلو ولا اكل حتى يوضع

فی فی لقمة لقمة وصلیت العتمة واغلقت الباب فلما مضی صدر من اللیل اذا انا
باسناد یدق الباب ومعه سراج فلما اکثر الدق فتحت الباب فاذا انا
بعجوز معها شاب وقد دخلت فوضعت بین یدی طبقا من الخبیص
وقالت هذا الشاب ولدی صنعت لهذا الخبیص وجری بیننا کلام فحلف
لا یاکل حتی یاکل معه رجل غریب وقالت هذا الغریب الذی فی المسجد
فکل رحمک الله واخذت تضع فی فمی لقمة وفی فم ولدها لقمة فهذه واشباهها
من مجاهدات الصالحین ومناقضاتهم للشیطان فان لک فی ذلک فوائد
ثلثا احدها ان تعلم ان الرزق لا یفوت من قدر له مجاء والثانیة
ان تعلم ان امر الرزق والتوکل لهم جدا وان للشیطان فیه وساوس عظیمة حتی ان مثل اولئک الائمة الزهاد لم یتخلصوا من
ذلک ولم ییاس عنهم الشیطان بعد طول تلک الریاضات وکثرة المجاهدات
التی سبقت لهم حتی یحتاجوا الی دفعه بهذه المناقضات ولعمری ان من
جاهد النفس والشیطان سبعین سنة لایامن ان یوسوس له کما
یوسوس لمبتدئ فی العبادة بل الغافل لم یجتهد ساعة ولو ظفر به
لفضحه واهلکه هلاک الغافلین المغترین وفی ذلک عبرة لاولی
الابصار والثالثة ان تعلم ان الامر لا یتم الا بالجد المحض والمجاهدة
البالغة فان کانوا الحما ودما وبدنا وروحا مثلک بل کانوا اخف ابدانا
واضعف ارکانا وارق عظاما منک ولکن کانت لهم قوة العلم
ونور الیقین وهمة امر الدین حتی قووا علی مثل تلک المجاهدات
بحق تلک المعاملات فانظر لنفسک رحمک الله وایانا وداوها من
هذا الداء المعضل لعلک تفلح ان شاء الله تعالی **فصل** ثم اعلم بعد

هذه الجملة انى مجدد لك نكتا وجدتها بحيث تنكت فى القلب اذا تذكرتها
وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على واضحه من الحق ان تاملتها وعملت
بها والله الموفق الاولى ان تعلم ان الله تعالى ضمن الرزق لعباده
فى كتابه فقد ضمن رزقك وتكفل لك به فما تقول لو وعدك ملك من ملوك
الدنيا انه يضيفك الليلة ويعشيك وانت حسن الظن به انه صادق فى
يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقى او يهودى او نصرانى
او مجوسى عندك مستور بظاهر عفيف فى معاملته الست تثق بوعده
وتطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فالك وقد
وعدك الله تعالى وضمن لك رزقك وتكفل به بل اقسم عليه فى غير موضع
وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل
يضطرب قلبك وتهتم فيا لها من فضيحة لو رايت ويا لها من مصيبة
لو علمت وعن على رضى الله عنه انه قال اطلب رزقك من عند عين
وتصبح من خوف العواقب آمنا وترضى بصراف وان كان مشركا
فلهذا المعنى ينجر هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ
بالله سلب المعرفة والدين ولهذا قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم لامر دينه
هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله الثانية انك تعلم ان الرزق
مقسوم فى ذلك فى كتاب الله ولخبار رسوله الصادق وتعلم ان قسمته
لا يتغير ولا يتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها فهذا فذلك
باب الكفر تقرعه نعوذ بالله وان علمت ان حق لا يتغير فاى فائدة فى الاهتمام
والطلب الا الذل والهوان فى الدنيا والشدة والخسران فى الاخرة ولذلك قال

صلى الله عليه مكتوب على ظهر الحبة النوى رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص
الاجهدا ولذلك يقول شيخنا ان ما قد لما ضمنك ان يضعناه فلا يضعه
عزك فكل رزقك ويحك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للزاهد
الثالثة ما سمعت من شيخي الامام يحيى عن الاستاذ انه كان يقول انما نضعني
في امر الرزق انى تذكرت وقلت لنفسي ليس هذا الرزق للحيوان والعيش والميت
ما يضع بالرزق فاذا كان حيوان العبد في خزانة الله تعالى وبيده ان شاء
يعطيني وان شاء يمنعني هو غيب عني ما كول الى اسفالي يدبر كيف شاء
فانا شاكر النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق الرابعة
ما ذكرنا في هذا الفصل ان شاء الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق
الموعود الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة واما الاسباب
من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله وتوكل على الله عز وجل
فربما يكتبس عنه الاسباب فلا يعبأ به لذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة
الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على الله تعالى انما هو في هذا المعنى
لا غير والمستظهر من الله عز وجل هذا المعنى فان الله عز وجل لا محالة يمده
بالقوة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة
وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء ان شاء اقام بنية
عبده بطعام او شراب او بطين وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة
وان شاء بغير هذا كله فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة
ليس الاكل والشرب وشدة الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار اذا بالاسباب
ولهذا المعنى قويت الزهاد والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام
فمنهم من لا يأكل عشرة ايام ومنهم من لا يأكل شهرا او شهرين وهو على

قوته

قوته ومنهم من يستف الرمل فيجعل الله له غذاء نحو ما ذكر عن الثوري رحمه الله
نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معوية الاسود
رايت ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال لي ابراهيم
التيمي ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا انسانا شدت
على عنقود سمسم فاكلته فانا اشتكي بطني قلت انا ولا تعجبن من ذلك
فان الله قادر على ما يشاء وهذا مريض لا ياكل شهرا وهو يعيش والمريض
على كل حال يضعف نفسا وارق طبعا من القوي واما الذي يموت جوعا
فذلك اجل حضره كالذي تموت شبعا وتخمة وقد بلغني عن ابي سعيد
الخراز انه قال كان حالي مع الله تعالى ان يطعمني في كل ثلاثة ايام فدخلت
البادية فمضت علي ثلاثة ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا
فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايما احب اليك سبب
او قوي قلت لا الا القوي فمكثت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثنتي
عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما كذلك فاما اذا مارأى العبد احتباس
الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله عز وجل فليستيقن ان الله
تعالى يمده بالقوة فلا يضجرن لذلك بل حقا ان يشكر الله تعالى على ذلك
شكرا كثيرا فان له المنة والصنع واللطف اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة
وحصل له الاصل والمقصود ودفع عنه الثقل والواسطة وحرق له علائق
العادة واراه طريق القدرة وان شبه حاله بحال الملائكة ورفعه عن حال
البهائم والعامة في تلك الكرامة فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الروح العظيم
ان شاء الله تعالى قلت ايضا ولعلك ان تقول لي انك اطنبت في هذا
الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمر الله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في

هذا المعنى اذ هو اهم شاء فى العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية
فمن له همة فى هذا الشاء فليستمسك بذلك وليراعه حقه والاهو عن المقصود
بمعزل والذى يدلك على بصيرة علماء الامة العارفين بالله عز وجل انهم
بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ لعبادته وقطع العلايق كلها فكم صنفوا
من كتاب وكم اوصوا بوصيته وقيض الله لهم اعوانا من السادة واصحابا
يتمشى لهم من الخير المحض ما لم يتمش لطائفة من طوايف الامة الازهادا الكرامية
على اصول غير مستقيمه ومازلنا اعز سادة منا على منهاج امثالنا يخرج من معابدنا
ومدارسنا كل حين لما امام فى العلم كالاستاذ ابى اسحق وابى حامد وابى
الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة واما صديق فى
العبادة كابى اسحق الشيرازى وابى سعد الصوفى ونصر المقدسى وغيرهم
من فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب وتلطخنا بشئ من
العلايق التى ضرها اكثر من نفعها فتراجعت الامور وتقاعدت الهمم
وطارة البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة
او يحصل له علم وحقيقة وان الامة التى تظهر هنا الآن ليست فمن بقى على
منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبى ومحمد بن ادريس
الشافعى والمزنى وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضى الله عنهم فهم كما قيل

فاصحبوا الايام الا تعقفا ۝ وما وجدوا من حبت سيدهم بدا ۝
افاضل صديقون اهل ولاية ۝ الى سيد السادات قد جعلوا القصدا ۝
تحلل عقد الصبر من كل صابر ۝ وما حلت الايام من عقدهم عقدا ۝

وكنا فى الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا
لا نقطع عن الطريق لمة والله المستعان على المصايب والمسؤل الله لا يسلبنا

هذا

هذا الرمق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واما التفويض فتامل فيه اصلين احدهما انك تعلم انه الاختيار لا يصلح
الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا فلا
يامن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت
لبدوي او قروي غثم اتنقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه
لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي فربما يعثر ايضا فلا تامن اذ
الاباء تعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار
وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لرب العالمين فلا يصلح
اذا احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول
عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال تعالى وربك
يعلم الاية وحكي ان بعض الصالحين قيل له قال الله تعالى تغط وكان موفقا
فقال انه عالما بجميع الوجوه يقول الجاهل من جميع الوجوه سل تغطا يش اعلم
ماذا يصلح لي فاسأله ولكن اخترت لي فمن هذه هذه الاصل الثاني ما تقول
لو ان رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر ما يحتاج اليه من مصالحك
فوض الامر كله الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك وهو عندك اعلم
اهل زمانك واحكمهم واقواهم وارحمهم واتقاهم واصدقهم واوفاهم
الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمه وتقدم له اوفر شكر واجمل ثناء
ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تثق
وتطمئن الى تدبيره علما انه لا يختار لك الا ما هو الخير وما ينظر لك الا الصلاح
كيف لا كان الامر بعد ما وكلت الامر اليه وضمن ذلك فالك اذ لا تفوض الامور
الى الله رب العالمين سبحانه وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض ثم هو اعلم

الغثم الذي لا يهتدي في الامور ٥

كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واغنى كل غنى ليختار لك بلطيف
علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك واشتغل انت بشانك
الذى بعينك فى عافيتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك
واطمأننت اليه فكيف ما كان هو الصلاح والخيرة فتأمل راشدك ان شاء الله تعالى
وبالله سبحانه التوفيق واما الرضا بالقضا فتأمل فيه اصلين مقنعين
لمن يريد عليهما احدهما ما فى الرضا من الفائدة فى الحال والمآل اما الفائدة
الحالية ففراغ القلب وقلة الجزع من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد
ان كان القدر حقا فالهم فضلة واصل الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال لابن مسعود رضى الله عنه ليقل همك ما قدر يكن وسالم
يقدر لم ياتك هذا هو الكلام الجامع النبوى النافع فى قلة لفظه وكثرة فائدة
معناه واما الفائدة فى المآل فثواب الله تعالى ورضوانه لقوله تعالى رضى الله
عنهم ورضوا عنه وما فى السخط من الهم والحزن والضجر فى الحال ومن الوزر
والعقوبة فى الآخرة بلا فائدة اذ القضا نافذ فلا يصرف بهمك وسخطك كما
قيل ما قد قضى يا نفس فاصطبرى له ولك الامان من الذى لم يقدر
والعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب
الجنة الاصل الثانى منها فى السخط من عظيم الخطر والكفر والنفاق الا
ان يتداركه الله عز وجل وتأمل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما نفى الايمان واقسم على من سخط قضاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكيف حال من سخط قضاء الله عز وجل ورؤينا ان الله يقول من
لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليتخذ ربا سوائى

قيل

قيل كانه يقول هذا لا يرضانا ربا حين سخط فليتخذ ربا آخر يرضاه وهذا
غاية التحذير والوعيد لمن غفل عن الله عز وجل ولقد صدق بعض السلف
لما قيل له ما العبودية والربوبية قال للرب ان يقضي وللعبد ان يرضى فاذا قضى
الرب ولم يرض العبد فاهناك عبودية ولا ربوبية فتامل هذا الاصل و
انظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر وشجرة
مباركة تجلب كل منفعة ويدفع عنك كل بلية واذا كان الدواء بهذه الصفة
فالانسان العاقل يكره النفس على شربه ويجرعه ويمضي على مرارته وحدته
ويقول لمرارة ساعة وراحة سنة فاما المنافع التي يجلبها الصبر
فاعلم ان الصبر اربعة اقسام صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر
عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة الصبر
فصبر في هذه المواطن الاربعة يحصل له الطاعات ومنازلها من الاستقامة
وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها في الدنيا وتبعاتها
في الاخرة ثم لا يبتلى بطلب الدنيا ومالها من الشغل في الحال والتبعة في المآل
ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به وذهب فحصل اذا لسبب الصبر الطاعة
ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل
من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا الله تعالى واما دفع المضار
فيريحه اولا من مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى
فاما ان ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل منفعته ولحقه كل
مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على حفظها
فيحبطها ولا يصبر على المواظبة عليها ولا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات
الاستقامة ولا يصبر عن معصيته فيقع فيها او عن فضول فيشتغل

به اولا يصبر على مصيبته فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع فيفوت العوض
بسبب ذلك فيكون له مصيبتان فوت الشئ وفوت الاجر والعوض وحلول
المكروه وحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من
المصيبة فاى فائدة فى شئ يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب
المفقود فاجتهد ان انا فاتك احدهما فلا يفوتك الاجر ومن الكلام الجامع
ما ذكر ان عليا رضى الله عنه عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير
وانت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول
جماع الامر انه قطع القلب عن العلائق المألوفة ومنع النفس عن العادة الراسخة
بالتوكل المحض على الله وترك التدبير فى الامور وتفويضها الى الله من غير علم
بما هو الاحسن فيها وكبح النفس عن السخط والجزع مع تنازع النفس اليه واكراهها
على لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر مر وعلاج
شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة
واحوال سديدة مسعودة ومما نقول فى الوالد المشفق الغنى اذا منع ولده
العزيز رطبا او تفاحة يأكلها وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ
البائس ويحبسه طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه
ويقلقه اترى منع ذلك من بخل فيه كيف وهو يعطى الاجانب ويوسع عليهم
اهو انا بهذا الولد كيف وهو يكسب له جميع ما فى يديه او قصد به انقاصه
وايذاءه لبغض له كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لعزة
عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه فى ذلك وان بهذا التعب القليل يصل الى
خير كثير ونفع عظيم ومما نقول فى الطبيب الناصح المحب اذا منع المريض الدنف
شربة ماء وهو ظمآن ينقلى كبده او يسقيه شربة اهليلج كريه بجزع

عن

عن ذلك نفسه وطبعه اترى له ذلك منه معاداة وايذاء كلا بل تصح واحسا
لما علم يقينا ان في اعطاء شهوته ساعة هلاكه وعطبه راسا وفي منع ذلك
شفاءه وبقاءه فتامل ايها الرجل اذا حبس الله عنك رغيفا او درهما
فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم
حالك فلا يخفى عليه شئ فلا عدم ولا عجز ولا خفا تعالى الله عن ذلك وتقدس
فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم
اذن بالحقيقة انه لم يمنعك الا لصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول خلق
لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي تتلاشى
في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور وان الله تعالى يقول اني لاذود
اوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واذا
ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك
بصير بضعفك وهو بك رؤف رحيم اما تسمع قوله صلى الله عليه
وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت هذا
علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لكن جهلته انت وهو عليم
بذلك ولهذا المعنى يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعز عباده حتى
يقول صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء
الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل واذا رايت الله يحبس عنك الدنيا
او يكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم انك عزيز عنده وانك عنده
بمكان فانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك لما تسمع
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منه عليك
فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك

منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من عوايق حميدة ومواهب كريمة والله
ولي التوفيق لمنه وفضله **فصل** وفي الجملة اذا علمت يقينا ان الله
الملئ بضمان رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته فانه
القادر على ما تشاء كيف يشاء وهو البصير بحاجاتك حالا فحالا ساعة فساعة
اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك لذلك واضرب
عن ذكر العلايق والاسباب بتعليق قلبك بها اذ العلايق لا تغنيك ولا
تكفيك دون الله تعالى فانه ييسر اكلها وشربها ثم هو الذي يميتها وتهنئها
ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك ضرها وثقلها وهو تعالى يغنيك
ويكفيك دونها اذا شئا فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه
لا غير وكذلك تترك التدبير في امورك الى من بيده تر السماوات والارض وتريح
نفسك عن كل شئ لا يبلغه علمك وتبرء من امور يكون غدا او لا
يكون وانه كيف يكون وتكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب
وتضييع الوقت ولعله يكون امور لم تخطر ببالك فيكون ما سبق من
فكرك وتدبيرك وجعلك الوقت العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل
خسران تندم عليه وتتغبر فيه بمكان شغل القلب بتضييع العمر في ذلك
وفي هذا المعنى لبعض الزهاد ۞ سبقت مقادير الاله وحكمها ۞ فارح
فؤادك من لعل ومن ولو ۞ وقال آخر فلعل ما تخشاه ليس بكائن
ولعل ما ترجوه ليس يكون ۞ سيكون ما هو كائن في وقته ۞ واخو الجهالة
متعب محزون ويقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وهو حسبنا ونعم الوكيل
اذ هو قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته

ومن كان بهذه الصفه فحقيق ان يتكل عليه ويفوض الامر كله اليه فعليك
بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضى الله لك هو الاوفق
والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره ويقول يا نفس المقدور كائن
لا محاله فلا فائدة في السخط والخيرة فيما يضع الله تعالى فلا وجه للسخط
الست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من شان
الربوبيه وحقها فعليك الرضا وكذلك اذا اصابتك مصيبته وحل بك
مكروه فتراعى نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر
منه شكايه وقلق لا سيما عند الصدمة الاولى فان الشاه هنالك والنفس
متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك ويقول يا نفس هذه قد وقعت
فلا حيله لدفعها وقد دفع الله ما هو اكثر منها فان انواع البلاء في خزانته
كثيرة وان هذه ستنقضي فلا يبقى وان سحابة ستنقشع فتجلدت يا نفس
قليلا تجدى لك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازل ولا فائدة
في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع العزاء والصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع
وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله من الاجر وتتذكر صبر اولوا العزم على
المصايب العظام من الانبيا والاولياء الا عزة على الله وانا حبس عنك الدنيا
في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم
الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده الموحد العارف اساوى
عنده رغيفا ايضا فاعلم بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم
وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبر قليلا ترى العجب من لطف صنعه

اما سمعت القايل توقع صنع ربك سوف يأتي ... بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما الشات حظب ... فكم في الغيب من عجب عجيب

ولاخر اذا اشتدت بك العسرى ففكر فى الم نشرح لك صدرك فعسر يسرين
اذا ذكرته فافرح فانا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها
بالتكرير والتمرين فان ذلك سيهون عليك اذا كانت لك همة واحدة
زمانا غير طويل وقد فقت هذه العوارض الاربعة بنفسك وكفيت
مؤنتها وصرت عند الله من المتوكلين المفوضين الراغبين بقضائه
الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن فى الدنيا
وعظيم الثواب والذخر فى العقبى وجليل الغنى والحجة عند رب العالمين
فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم لك طريق العبادة اذ الاعايق والاشاغل
وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة العسيرة والله تعالى المسؤل ان يمدك
واياانا بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم **الباب الخامس فى العقبة الخامسة وهى عقبة**
**البواعث** ثم عليك يا اخى بالسير اذا استقام لك الطريق وسهل السبيل
وارتفعت العوايق وزالت العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم الا
باستشعار الخوف والرجا والتزامهما حقهما على حدهما اما الخوف فانما
يجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصى فان هذه النفس لامارة بالسوء
ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلو تهيأ ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد
بالغ وليست هى فى طبعها حرة نهيمها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفا انما هى
كما قال القائل العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة والتدبير
فى امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا نحو ما ذكر عن
بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصيته فانطلق ونزع ثيابه وجعل
يتمرغ فى الرمضا ويقول لنفسه ذوقى فنار جهنم اشد حرا من هذا اى

جيفه

جيفه بالليل بطالة بالنهار والثانى لئلا يعجب بالطاعات فتهلك بل يقعها
بالعيب والذم والنقص من الاسواء والاوزار التى فيها ضروب الاخطار
وذلك نحو ما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو اخذت انا وعيسى
بن مريم اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احدا واشار
باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يؤمن احدنا ان يكون قد امات
دينا فطبق عليه باب المغفرة دونه فهو يعمل فى غير معمل وعن ابن السماك
فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفى
الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غيرها
تعملين فهذه واشالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها
لئلا تعجب بطاعة او تقع فى معصيته وبالله التوفيق واما الرجاء
فانما يلزمك استشعاره لامرين للبعث على الطاعات وذلك لان الخير
ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة
من عامة الخلق فى النفس منطبع مشاهد والثواب الذى يطلب به عن
العين غائب وامد الوصول فيما يحسبه بعيد واذا كان الحال هذه الحالة
فلا ينبعث النفس ولا يرغب فيه خفة ولا تهتز له الا بامر يتعلب كل هذه
كل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوى
فى رحمة الله والترغيب البالغ فى حسن ثوابه وكرم اجره ولقد
قال شيخنا الحزين يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء
يقوى على الطاعات وذكر الموت يزهد فى الفضول والثانى يهون
عليك احتمال الشدائد والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان
عليه ما يبذل ومن طاب له شئ ورغب فيه حقر رغبته احتمل شدة

ولم يبادر بما يليق به مؤنثة ومن احب احدا حق محبته احب ايضا
احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة مزوبا من اللذة الا ترى ان شتار
العسل لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر اخذ درهمين بالمشتى وان الغلام لا يفكر
بمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر البيدر اوان
الغلة فكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في
طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها
وحليها وحللها وسائر ما اعد الله لاهلها هان عليهم ما احتملوه
من نصب في عبادة او فاتهم في الدنيا من لذة ونعمة او نالهم من مضرة
ومشقة ولقد حكي ان اصحاب سفيان الثوري كلموه فيما كانوا
يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من
هذا الجهد نلت مرادك ايضا انشا الله قال سفيان كيف لا اجتهد
وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضئ له
الجنات الثمان فيظنون انه ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون
ساجدين فنودوا ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو نور
جارية تبسمت في وجه زوجها فانشا يقول ماضر من كانت الفردوس
مسكنه ماذا تحمل من بوس واقتار تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا
الى المساجد يمشي بين اطمار يا نفس مالك من صبر على النار قد حان
ان تقتلجي من بعد ادبار قلت انا واذا كان مدار امر العبودية على
الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه
النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان
الدابة الحرون يحتاج الى قائد يقودها والى سايق يسوقها واذا وقعت

في

فى مهواة فزما يضرب بالسوط من جانب ويلوح لها بالشعير من جانب اخر
حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبى العرم لا يمر الى الكتاب الا
بترجيه من الوالدين وخوف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون
وقعت فى مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجا شعيرها وقايدها
وانها الصبى العرم يحمل الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب
تخويفها وذكر الجنة والثواب ترجيتها وترغيبها فلذلك يلزم العبد الطلب
للعبادة والرياضة ان يشعر النفس بالامرين اللذين هما الرجا والخوف فلا
يساعد النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بجموع الامرين الوعد
والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ فى كل واحد منهما فذكر من الثواب
الكريم ما لا صبر عنه وذكر من العقاب ما لا صبر عليه فعليك اذن بالتزام
هذين المعنيين يحصل لك مرادك من العبادة ويسهل عليك احتمال
المشقة والله تعالى ولى التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجا و
الخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجا عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر
واما المقدور للعبد مقدماتهما فالوا والخوف رعدة تحدث فى القلب عن
ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية يقتضى ضربا من الاستظلام
والمهابة وضد الخوف الجراة ولكن قد يقاد بالامر يقاد خائف وامن
وخوف وامن لان الامن الذى يجترى على الله تعالى والحقيقة ان الجراة تضاد
ومقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب الكثيرة التى سبقت وكثرة
الخصوم الذين مضوا الى المظالم واستمرتهن لم يتيسر لك الخلاص بعد
والثانية ذكر شدة عقوبة الله التى لا طاقة لك بها والثالثة ذكر بعض
ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء

وكيف وأما الرجا فهو ابتهاج القلب لمعرفة فضل الله تعالى واستروا حه الى سعة
رحمة الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور
للعبد وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد سمى ايضا ارادة الخاطرة
بالاستبشار رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج
والاستراوح وضده اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع
القلب عن ذلك وهو معصيته محضة وهذا الرجا فرض اذا لم يكن للعبد
سبيل الى الامتناع عن اليأس الا به والا فهو نفل بعد اعتقاد الجملة في فضل
الله تعالى وسعة رحمته ومقدمات الرجا اربع ذكر سوابق فضله اليك
من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته
حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالعمل اذ لو كان على حسب
العمل لكان اقل شئ واصغر امر والثالث ذكر كثرة نعمه عليك فيما مر دينك
ودنياك في الحال من انواع الامداد واللطاف من غير استحقاق او سؤال
والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني
الكريم الرؤف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين النوعين
من الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجا بكل حال والله تعالى
ولي التوفيق بمنه وفضله **فصل** فعليك ايها الرجل بقطع هذه
العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك
خطرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما
طريق الامن والثاني طريق اليأس وطريق الرجا والخوف وهو الطريق
العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب عليك الرجا حتى فقدت
الخوف البتة وقعت في طريق اليأس ولا يأس من روح الله الا القوم
الكافرون

سلك الكافرون فان انت ركبت بين الرجا والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق
العدل المستقيم الذي هي سبيل اولياء الله تعالى واصفيائه الذين وصفهم بقوله
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
فافاظهر ذلك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق اليأس والجزاء وطريق اليأس
والقنوط وطريق الخوف والرجا ممتدة بينهما فان ملكت ملك عنه بقدم
الى يمينك ويسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم
الشارد الطريقين الجايرين المهلكين اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل
سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة
رحمة الله تعالى وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل
على ذلك بمرة وتانس وان نظرت من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة
الله وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا
يكاد يبقى معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فيحتاج اذن ان لا تنظر الى سعة
الرحمة فقط حتى تتكل وتانس ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط
وتيأس بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا
بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فان طريق
الرجا المحض سهل واسع وعاقبته تؤديك الى الامن والخسران وطريق
الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك الى الضلال والطريق العدل
بينهما طريق الخوف والرجا وان كان دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج
بين يؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك
الرحمن لما تسمع قوله تعالى في ابنا هذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم
قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون

فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه للامر فانه لا يخفى بالهوينا والله الموفق
ثم اعلم ان الايات التى لك سلوك هذه الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلى
على الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا
بالتحفظ لثلثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة
احدها ذكر اقواله تعالى فى الترغيب والترهيب والثانى ذكر افعاله
تعالى فى الاخذ والعفو والثالث ذكر خزانة العباد فى المعاد من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجل صنفنا كتاب تنبيه
الغافلين ونحن نشير فى هذا الكتاب الى الكلمات توقفك على المقصود انشاء
الله الاصل الاول فى اقواله تعالى تدبر ايتها الرجل ما فى الكتاب العزيز من ايات
الترغيب والترهيب والترجيه والتخويف من ايات الرجا قوله تعالى لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر
الذنب وقابل التوب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين
يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما فهذه ونحوها
ايات الرجا ومن ايات الخوف والسياسة يا عبادى فاتقون افحسبتم انما
خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم ولا امانى
اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا نسأل الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن ايات اللطيفة الجامعة بين
الخوف والرجا قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم ثم قال فى عقبه
وان عذابى هو العذاب الاليم لئلا يستولى على الرجا بمره وقوله شديد العقاب

ثم

ثم قال في عقبة ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف بمرة واعجب من ذلك
قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم
الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون الخشية مع ذكر الرحمة ولا يكون
الخشية نظير قلبك برة فيكون تخويفا في تامين وتحريكا في تسكين
كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر الامير
الكريم والمراد بذلك ان يكون الطريق عدلا ولا يذهب الى امن ولا قنوط
جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم برحمته العاملين
بما فيه انه الجواد الكريم **الاصل الثاني في افعاله ومعاملاته** اما من
جانب الخوف فاول عبده ابليس مائتي الف سنة فلم يترك موضع قدم
الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم نزل له امرا واحدا فطرده عن
بابه وصرف بوجهه بعد مائتي الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا
عظيما ابدا الابدين حتى يروى انه الصادق الامين صلوات الله عليه وعلى اله
راى جبرئيل متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل
جسمي شرفتم صفيه الذي خلقه واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم
الى جواره انبسط فاكل الكلمة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي الا يجاورني
من عصاني وامر الملائكة الذين حملوا سريره يرجونه من سماء الى سماء
حتى بكى على ذلك مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته
في تبعات ذلك على الابد تقران نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليهم
اجمعين الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير
وجهها اذ نودي فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين حتى روى في بعض الاخبار انه لم يرفع راسه الى السما

حياء من الله تعالى اربعين سنة تحزن ابراهيم الخليل صلوات الله عليه لم
يكن منه الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف فيرسل الله تعالى
اليه الامين جبرئيل عليه السلام فيقول يا ابراهيم هل رأيت خليلا
يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت
خلته ثم موسى ابن عمران عليه السلام لم يكن منه الا لطمة واحدة عن
جدة فكم خاف واستغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه
بلعم بن باعور كان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله واتل
عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ولم يقل آية واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة
واحدة وترك لولي من اولياء الله حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله
بمنزلة الكلب المطرود فقال تعالى فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال
والهلاك الى الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان في اول امره بحيث
يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم
صار بحيث اول من صنف كتابا وذكر فيه ما استحق به اللعن نعوذ بالله
ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وفظيع خذلانه الذي لا طاقة لنا به
فانظر حبث الدنيا وشومها ماذا يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر
خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا
واقالنا عثراتنا فاذ ذلك عليه يسير ثم ان داود عليه السلام خليفته
في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض
من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت
ذنبك وذكرت بكائك فلم يقبل توبته اربعين يوما قيل واربعين سنة

ثم

ثم يونس عليه السلام غضب غضبته واحدة فى غير موضعها فسجن فى
بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادى اله لا اله الا انت
سبحانك انى كنت من الظالمين وسمعت الملائكة صوته وقالوا الهنا
وسيدنا صوت معروف من موضع مجهول فقال تعالى ذلك عبدى
يونس فشفعت فيه الملائكة فخرج ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا
انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته
ومنته فقال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى
سيد المرسلين اكرم خلقه عليه بقوله فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان عليه السلام يقول
شيبتنى هود واخواتها فيقال عنى هذه الاية واشكالها فى القرآن وقال
تعالى واستغفر لذنبك والذى من عليه بالغفران فقال وضعنا عنك
وزرك الذى انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وكان بعد ذلك يصلى الليل حتى تورمت قدماه فيقولون تفعل
هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فيقول افلا اكون عبدا شكورا وقال صلى الله عليه وسلم لو انى وعيسى
اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احدا من العالمين
وكان يصلى الليل ويبكى ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك
من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك ثم الصحابة رضى الله عنهم الذين هم خير قرون فى خير امته

كان يبدو شيء منهم من المزاح فنزل قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله الآية ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود
والسياسات العظيمة حتى كان يونس بن عبيد يقول لا تامن من قطع
في خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا نسأل الله الكريم
سبحانه ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما جانب الرجا فحدث
عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يحيس وصفها
فانه الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى امر سحرة فرعون الذين جاؤا
لحربه وحلفوا بعزته عادوه لما قالوا انا امنا عن صدق القلوب كيف
قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في
المنة ابدا لا يبدين هذا مع من عرفه ووحده ساعة بعد ذلك الكفر والضلال
والفساد فكيف حال من افنى في توحيده عمره لا ترى لذلك اهلا
في الدارين غيره اما ترى اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول
اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض والتجاءوا اليه كيف قبلهم
ثم اعزهم واكرمهم فقال تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وكيف اعظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول الاكرم
الخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا بل كيف اكرم كلبا تبعهم
حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله في الدنيا محجوبا ويدخله الجنة
في الاخرة مكرما هذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه
اياما معدودة من غير عبادة او خدمة فكيف مع عبده المؤمن الذي خدمه
ووحده وعبده سبعين سنة ولو عاش سبعين الف سنة كان قاصدا

للعبودية

للعبودية اما سمعت كيف عاتب ابراهيم عليه السلام فى دعائه على الجرمى بالهلاك
وكيف عاتب موسى عليه السلام فى امر قارون فقال استغفاث بك فارون
فلم تغثه فوعزتك لو استغاث نى لاغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس
عليه السلام فى شان قومه بانك تحزنه على شجرة يقطين ابنتها فى ساعته
وايبستها فى ساعة ولا تحزنه على مائة الفا وبزيدون ثم كيف قبل عذرهم
وصرف العذاب العظيم عنهم بعدما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين
فيما روى انه دخل من باب بنى شيبة فرأى قوما يضحكون فقال لم تضحكون
لا اريكم حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى وقال جاء جبرئيل وقال
يا محمد ان الله يقول لك لا تقنط عبادى من رحمتى نبئ عبادى انى انا
الغفور الرحيم وهذا رسول الله يقول لله تعالى ارحم بالعبد من الوالدة
الشفيقة بولدها وفى الخبر المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله
تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون وذخر منها تسعة وتسعين لنفسه ليرحم بها
يوم القيمة عباده واذ قد اعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكونية
العزيزة من معرفته سبحانه وتعالى والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة
السنة والجماعة الى سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فرجون
كرمه وفضله العظيم ان يتم ذلك فانه من بدانا بالاحسان فعليه الاتمام
ويجعل من تسع وتسعين رحمة لك الخطا الا وفر نسال الله ان لا يخيب
آمالنا فى فضله العظيم بفضله انه السيد الكريم الجواد الرحيم **واما الاصل**
**الثالث فى ذكر ما وعد واوعد فى المعاد** فلنذكر فى ذلك اللحوال الاربعة
الموت فى القبر والقيامة والجنة والنار وما فى كل مقام منها من الخطر

والعاصين المقصرين المجتهدين امّا الموت فاذكر فيه حالة جليلة احدها
ما روى عن ابن شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به
وعند رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض
وقال اه تلقني او لم تلقني فاني لا ادعها ثم قرأها والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجى صاحبا والاخر ما حكي
ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفات فدخل عليه الفضيل وجلس عند
راسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ للقرآن هذه فسكت ثم لقنه
فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها لانني برئ منها ومات على ذلك فدخل
الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم
وهو يسحب الى جهنم فقال باي شئ نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم
تلاميذي قال بثلثة اشياء اولها النميمة فاني قلت لاصحابي خلاف ما
قلت لك والثاني الحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت
الى طبيب فسألته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل
يبقى بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به
ثم اذكر حالة رجلين احزن احدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك انه
لما احتضر نظر الى السما فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت
امام الحرمين يحكي عن الاستاذ ابي بكر انه قال كان على صاحب ايام التعليم
وكان مبتديا كثير الجهد في التعليم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد
الا القليل وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط
ولم يدخل الى بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتد به الحال وانا
جانبه فبينا هو اذ شخص ببصره الى السما ثم قال لمثل هذا فليعمل

فليعمل

فليعمل العاملون فتوفى عند ذلك رحمه الله واما الاخر فهو ما روى عن مالك
بن دينار انه دخل على جار له استحضر فقال يا مالك جبلان من نار
بين يدى الكلف الصعود عليها فسألت اهله فقالوا له مكيالان يكيل
باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بها فضربت احدهما على الاخر فكسرتهما
ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على الا عظما واما القبر والحال
بعد الموت فاذكر فيه حال رجلين لاحدهما ما ذكر عن بعض الصالحين
قال رايت سفيان الثورى فى النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا
عبد الله فاعرض عنى وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك
يا سفيان فانشا يقول ۞ نظرت الى ربى عيانا فقال لى ۞ هنيئا رضائى
عنك يا ابن سعيد ۞ لقد كنت قواما اذا الليل قد جاء ۞ بعبرة مشتاق
وقلب عميد ۞ فدونك فاختر اى قصر اردته ۞ وزرنى فانى
عنك غير بعيد ۞ والرجل الثانى ما روى ان بعضهم رؤى فى المنام
شاحب اللون مغلولة يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشا يقول
تولى زمان لعبنا به ۞ وهذا زمان بنا يلعب ۞ وحال آخر من احدهما
ما روى ان بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد ولم اره فى المنام
الى ليلة نوفى عمر بن عبد العزيز فرآنى ليلة فقلت يا بنى الم تكن
ميتا قال لا ولكنى استشهدت وانا حى عند الله ارزق فقلت ما جاء
بك فقال نودى فى اهل السما الا يبقى بنى ولا صديق ولا شهيد الا
وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم
لاسلم عليكم واما الاخر فما روى عن هشام بن حسان انه قال مات
لى ابن حدث فرايته فى النوم فاذا هو شيب فقلت يا بنى ما هذا الشيب

قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق احد الا شاب
منه نعوذ بالله من عذابه الاليم واما القيمة فتامل قول الله تعالى يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فى اى حد يخرج من
قبره فاذا البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات
النعيم لا يخلى من عزه يمشى الى الجنة برجله واخر يخرج من قبره فاذا الزيانية
والانكال لا يخلون الشقى يمشى الى النار برجله بل يسحب الى سواء الجحيم بوجهه
نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها
لها اجنحة خضر تطير بهم فى عرصات القيمة حتى انتوا على حيطان الجنة
فاذا راتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما ندرى لعلهم
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون من انتم ومن اى الامم انتم فيقولون
نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون
لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرات كتبكم فيقولون
لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراكم فيقولون هل اعطيتمونا
شيا فنحاسب عليه وفى خبر اخر ما ملكنا فنغدر ولا نجوز ولكن عبدنا
ربنا فدعانا فاجبناه فينادى منادى صدق عبدى ما على المحسنين من
سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من
ياتى امنا يوم القيمة فاعظم برجل يشاهد تلك الاهوال والزلازل
والوقايع وهو امن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسال الله
تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء وما ذلك عليه بعزيز واما
الجنة والنار فتامل اثنتين من كتاب الله تعالى احدها قوله تعالى

وسقرهم

وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزآء وكان سعيكم مشكورا
وقال حكاية عن اهل النار ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا
فيها ولا تكلمون وروى انهم يصيرون عند ذلك كلابا يتعاوون في النار
ونعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الامر كما قاد يحيى بن معاذ لا
ندري اي المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا
صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاساة
الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان على حال منقطعا
كان الامر هينا ولكن الشان في ابد بلا اخر فاي قلب يحتمل ذلك واي نفس
يصبر على ذلك ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ذكر الخالدين يقطع قلوب
الخائفين وذكر عند الحسن ان اخر من يخرج من النار رجل يقال له هنادة عذب
الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني كنت هنادة
منه فقال ويحك اليس يوما يخرج قلت فرجع الامر كله اذن الى اصل وهو النكتة
التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتنث
العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي اليها خوف
الخائفين ويبكى عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم
ثلثة غم الطاعة الا تقبل وغم المعاصي الا تغفر وغم المعرفة ان
تسلب وقال المحصلون بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة
وكل غم دونه اذا انقضنا ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط
انه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاءك هذا على
الذنوب فقال الذنوب اهون على الله من هذا وانما اخشى ان يسلبني
الله الاسلام نسئل الله ربنا المنان سبحانه ان لا يبتلينا بمصيبته

وان يتم علينا كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا
سبب سوء الخاتمة ومعناه في كتاب احياء علوم الدين فتامل هناك فان
الخوض ههنا خروج الى الاكثار فتامل هذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان
يأتي عليه الوهم والذكر لعلك تقلع بعون الله وحسن توفيقه فان قلت
فاي الطريقين اسلك طريق الخوف او طريق الرجا يقال لك بل المركب
بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجا صار مرجيا بل زنديقا يخاف عليه ان
يصير خرميا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد ان لا ينفرد
باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة الرجا الحقيقي لا ينفك عن الخوف
الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجا ولذلك قيل الرجا كله لاهل
الخوف الا الامن والخوف كله لاهل الرجا الا اليأس فان قلت هل يكون
احدهما ارجح واكثر ذكرا لحال فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف
اولى واذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الخاتمة فالرجاء اولى كذلك
سمعت العلماء يقولون قلت وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة
قلوبهم من مخافتي فيصير رجاء اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه
المتقدم زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا
فان قلت اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى
والترغيب في ذلك فاعلم ان من حسن الظن بالله الحذر من معصيته
والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم ان ههنا اصلا اصيلا
ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين الرجا
والامنية ان الرجا يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع
واجتهد وجمع بيده البذر ثم يقول ارجو ان يحصل لي غاية فقيه فذلك منه

رجاء

رجاء واخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنة فاذا جاء
وقت البيادر يقول ارجوا ان يحصل لي مائة قفيز فنقول له من اين لك
هذا الرجاء وانا ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة
الله والانتهاء عن معصية الله فقال ارجوا ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا
التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجا
واما اذا اغفل ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخطه
ورضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول ارجوا من الله الجنة والنجاة من النار
فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجا وحسن ظن وذلك خطأ
وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل ما رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من يتبع نفسه هواها
ويتمنى على الله تعالى وفي ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله ان اقواما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني لحسن الظن
بربي وكذب لانه لو حسن الظن بربه لاحسن العمل ثم تلا قوله تعالى
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر
الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد قلت
يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رايت مني ما يدل على
القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فبكائي قوله فاذن
كل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر
عن المعصية فأي شيء يقول ما كان لهم حسن ظن بالله تعالى فانهم
كانوا عارفين بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا
ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل وانتبه

من رقدتك والله تعالى ولى التوفيق فصل وجملة الامر انك اذا
تذكرت سعة رحمة الله تعالى التى سبقت غضبه ووسعت كل شئ ثم
كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم
وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم
كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع اوقدم
سابقة لك وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه
وهيبته ثم شدة غضبه الذى لا يقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك
وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته فى احاطة علمه
وبصره بالعلوم والغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذى لا يبلغ كنهه
الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذى لا يحتمل ذكره القلوب تارة تنظر
الى فضله وتارة تنظر الى رحمته ورأفته طورا وتنظر الى نفسك فى جفواتها
وحينا تنادى بلسان جميع ذلك الى الخوف والرجا وكنت قد سلكت
السبيل الشارع القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه
فيهما مع التائهين ولا تتلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج العدل
فلا تهلك برودة الرجا ولا بحرارة الخوف الصرف فكأنى بك وقد وصلت
الى المقصود غانما وسلمت من العلتين سالما وقد وجدت النفس وقد
اتبعت الطاعة ودأبت فى الخدمة ليلا ونهارا من غير فتور ولا غفلة واجتنبت
المعاصى والمخازى وهجرتها بمرة كما قال نوف ان نوفا اذا ذكر الجنة طال
شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص
العابدين الذين وصفهم الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطرة

باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة فى الدنيا وكم لك
من ذخر كريم واجر عظيم فى العقبى فانه تعالى سؤول ان يمدك واياانا بحسن
توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم **الباب السادس فى العقبة**
**السادسة وهى عقبة الفوادح** ثم عليك يا اخى امدك الله واياانا
بحسن توفيقه بعد ما استباه لك السبيل واستقام لك المسير
بتميز سعيك وصيانة عما يفسده ويضيعه عليك واما ذلك باقامة
الاخلاص وذكر المنة والاجتناب عن ضد الامرين احدهما المانع
فعله من الفائدة وهو حسن الظن بالله تعالى على ما روى فى الحديث
المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لنا اغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا فاشرك فيه غيرى فنصيبى له فانى لا اقبل
الا ما كان لى خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة
اذا التمس ثواب عمله المربوسع لك فى المجالس المرتكن الموسوم فى
الدنيا المربرحضى ببيعك وشرائك المرتكرم هذا واشباهه من الحظر
والضرر قلت من حظر الدنيا فضيحتان ومصيبتان امتا
الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهى اليوم على رؤس الملائكة
وذلك ما روى ان الملائكة يصعدون بعمل العبد مستبشرين فيقول
الله تعالى ردوه الى سجينه فانه لم يرد بى به فيقتضى ذلك العمل والعبد
والثانية فضيحة العلانية وهى يوم القيمة على رؤس الخلايق روى
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرائى يوم القيمة ينادى باربعة اسماء
يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك ولا خلاق

لك الشمس الاجر من كنت تعمل معه لرياء بخادع وروى انه ينادى منادى يوم القيمة
فسمع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم
من عملتم له فانى لا اقبل عملا خالطه شئ واما المصيبتان فاحدهما فوق
الجنة وذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام
على كل بخيل ومراء والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل من يبخل
باحسن قول وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المرائى من يرائى
باقبح رياء وهو المنافق الذى يرائى بايمانه وتوحيده وفى هذا القول
ترجيه والثانى ان لمن لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه ففيه خطر
ان يلحقه شوم ذلك فيقع فى الكفر فيفوته الجنة رأسا والعياذ بالله والمصيبة
الثانية دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان اول من يدعى يوم القيمة رجل جمع القرآن ورجل قاتل فى سبيل
الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولى
فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به انا الليل
والنهار فيقول الله عز وجل كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول
الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب
المال فيقول الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى
يا رب فيقول فما عملت فيما آتيتك فلا كنت اصل الرحم وانصدق فقال
الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان
يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول
ما فعلك فيقول امرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول
الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جرئ فقد

قيل

قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتي وقال
يا با هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اه النار واهلها تعجوه
من اهل الرياء قيل يا رسول الله وكيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون
بها وفي هذه الفضايح بلاغ لاولي الابصار والله تعالى ولي الهداية بفضله
فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمها وتاثيرها
في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاص العمل واخلاص
طلب الاجر فاما اخلاص العمل هو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره
واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق
وهو التقرب الى غير الله تعالى وقال شيخنا النفاق هو الاعتقاد الفاسد
الذي هو للمنافق في الله تعالى وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها
في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر هو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان
شيخنا يقول انه ارادة نفع الاخرة بذكر ما يتعذر جزم بحيث يرجى به
ترك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال الحواريون لعيسى بن
مريم عليه السلام ما الخالص للاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد
وهذا تعرض لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة
للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال
الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان
الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص
فقال يقول ربي الله ثم استقم كما امرت اي لا تقيد هواك ونفسك

ولا تعبد الا ربك ولتستقيم فى عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل
ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو
ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط والمحض ان
تريد به نفع الدنيا لا غير والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة
وهذا احدّهما واما تاثيرهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص
طلب الاجر ان يجعله مقبولا وافرا الاجر والتعظيم والنفاق يحبط العمل و
يخرجه عن كونه قربة مستحقّا عليها الثواب بالوعد من الله فالرياء المحض لا
يكون من المعارف عند بعض العلماء وان كان ابطل نصف الثواب وعند
اخرين قد يكون الرياء المحض من المعارف فانه يذهب بنصف الاضعاف
والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الرياء المحض
لا يكون من المعارف مع تذكر الاخرة ويكون مع السهو والمختار ان من تاثير
الرياء رفع القبول والنقصان فى الثواب وان لا تقدير له بنصف او ربع وشرح
هذه المسائل يطول وقد شرحناه فى كتاب الاحياء شرحا مستقصى واشبعنا
القول فيه اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع الاخلاص وفى اى
طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء ثلثة قسم يقع فيه
الاخلاص جميعا وهو العبادة الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شئ
منها وهو العبادات الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر
دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة وقال شيخنا ان
كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله تعالى من العبادات الاصلية يقع فيها
اخلاص العمل فاما اخلاص طلب الاجر قال شيخنا الكرامية لا يقع فى العبادات
الباطنة اذ لا يطلع عليها احد غير الله فامتنع فيها دواعى الرياء فلم يحتج الى

اخلاص

اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا يقول اذا اراد من الله العبادات الباطنة الدنيا
هو ايضا رياء قلت انا فلا يبعد اذن ان ينقع في كثير من العبادات الباطنة
الاخلاص وكذا النوافل يجب فيها الاخلاص جميعا عند الشرع
واما المباحات الماخوذة للعدة يقع اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل اذ هي لا يصلح ان يكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان قلت
هذا موضعها فبين لنا وقتها من العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه
لا محالة ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب الاجر فانما يتاخر عنه وعند بعض
العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ عن اخلاص اوريا فقد
انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند غيرنا من مشايخ الكرامية ما لم
ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال
المطلوب فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص
فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان الله
تعالى ادخل العبد في الفريضة فامره منه التفضل والتيسير فيه واما
النفل فالعبد الذي ادخل فيه نفسه وتكلفه فطولب بحق ما تكلف
قلت وفي هذه المسئلة فائدة وهي ان من سبق منه الرياء وترك
الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك ولا فيه على احد الوجوه
التي ذكرنا والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقايق علمنا الآن
بقلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذا الطريق والتقريب على
المبتدئ في العبادة فان لم يجد لعلته دواء في هذا القول وجده
في الاخر لاختلاف الاغراض وعلل الاعمال وافاقها فهو راشد
انشاء الله تعالى فان قلت اكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه

قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجوز تناول
اخلاص جملة من العبادات اما العمل ذو الاركان كالصلوة والوضوء يكفيها
اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصار كشئ
واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير من الله ولا يريد من الناس شيأ من
مدحته او سمعته او منفعته اليكون ذلك رياء فاعلم انه ذلك محض
الرياء فقالت علمائنا الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي يريد منه فان كان
مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء اراد به من الله تعالى او من الناس
قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من
نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقه من معنى الرؤية وانما نشأ
هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع يكون من قبل الناس
ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا التي يريدها
من الله تعالى التعفف عن الناس والعدة على عبادة الله تعالى
اليكون رياء فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والحطام انما هو في القناعة
والثقة بكفاية الله تعالى واما العدة على عبادة الله تعالى فاذا كان
مراده ذلك فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل بامر الاخرة واسبابها ويسير
لطفا لذلك فانه اريد بعمل الخير هذا النوع لا يكون تلك الارادة رياء
لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا وتصير في حكم اعمال الاخرة
ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم
عند الناس ومحبة عند المشايخ والائمة يكون قصدك من ذلك
التمكن من تائيد مذهب الحق او الرد على اهل البدع والنشر للعلم
او حض الناس على العبادة وكخو ذلك دون ان يقصد بذلك شرف

النفس

النفس من حيث هي اودنيا تنالها فان هذه كلها ارادات سديدة ونيات
محمودة لا يدخل شئ منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الاخرة بالحقيقة
واعلم انك سئلت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة
الواقعة في ايام العسرة اليس المراد بذلك ان يدفع تلك الشدة عنهم
ويوسع عليهم بشئ من الدنيا على ما جرة العادة فكيف يصح ارادة شئ
الدنيا بعمل الاخرة فقال في جوابه كلا بل معناه ان المراد منهم ان يرزقهم
الله تعالى قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس
العلم وهذه من جملة ارادات الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السنة
اعني قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو
شئ وردت به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
رضي الله عنهم حتى كان بن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في امر
ولده في ان لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة
ومن ذلك الاصل جرى هذه الخصلة في سير علمائنا والاقلا مبالات
بجد الله تعالى بشدة في امر الدنيا وسعة وهم الذين يغتنمون ضيق
الدنيا وعسرها ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى
نعمة عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعته من الدنيا التي لا يعدها
اكثر الناس الا للضيق والشدة استدراجا من الله تعالى ومصيبة
كيف وبطانتهم الاسفار والطي في عموم الاحوال وكثير منهم يقولون
الجوع راس مالنا هذا وضع مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب
اشياخي وبذلك جرة سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتأخرين
فلا معتبر فيه وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر فيهم مخالف

جهلا منه بمقاصد القوم فى امورهم او يغلط فيهم مبتدئ سليم الصدر
لم ياخذ من العلم حقه بانه كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والتجرد وارباب
الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شئ ماخوذ من السنة ثم المقصود حصول
القناعة والعدة للاتباع الشرع والشهوة والضعف عن احتمال العدة
والشدة واكثر ما يرى فى عقب ذلك قناعة فى القلب فقد كلب الجوع
وضعف وسلو عن الطعام ونهمة علم ذلك من امتحن فاعلم هذه الجملة
موفقا انشاء الله تعالى **القادح الثانى العجب** واما يلزمك اجتنابه لامرين
احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من الله تعالى فان المعجب محدود
واذا انقطع عن العبد التوفيق والتاييد فاسرع ما يهلك ولذلك
قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه والثانى انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عليه السلام
يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده
العجب واذا كان المقصود والفائدة العبادة وهذه الخصلة تحرم
العبد حتى لا يحصل له خير فانه حصل له قليل من ذلك يفسده حتى لا يبقى
بيده شئ فحقيق ان يحذر من ذلك ويحتفظ والله تعالى وتقدس
ولى التوفيق والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما
ثالثه وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام
العمل الصالح وتفضيله عند علمنا ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح
لشئ دون الله تعالى او الناس او النفس قالوا وقد يكون العجب ثلثة بان
يذكر ذلك من هذه الثلثة النفس والخلق والشئ ومثنى بان يذكر من
اثنين وموحدا بان يذكر من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر

انه بتوفيق الله وانما الذى شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض
عند داعى العجب نفل فى سائر الاوقات واما تاثير العجب فى العمل فقال
بعض اصحابنا ينتظر بالاحباط فان تاب قبل موته سلم والا حبط واليه
ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عندهم ان يذهب
عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة
وفى قول غيرهم هو ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت كيف يليق على
العبد العارف ان الله تعالى هو الذى وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر
ثوابه بفضله ومنه فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو
ان الناس فى العجب ثلثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة
والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة فى افعالهم وينكرون العون و
التوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون
المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة
اكرموا بها وتارة ينتبهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون وذلك
لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الاجتهاد والنقص فى البصيرة فان
قلت كيف حال القدرية والمعتزلة فى افعالهم فاعلم ان فى ذلك
اختلافات فقيل انها محبطة لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل
باعتقاد الجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد
اهل السنة لا يمنع العجب فى كل عمل حتى يخصه بذكر منه فان قيل فهل سوى
العجب والرياء من قادح فى العمل قيل له اجل ان فيه القوادح سواها
لكنا خصصناها بالذكر لانها الاصل الذى يدور عليها معظم الباب

وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يتحفظ فى العمل من عشر اشياء
النفاق والريا والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة
والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيخنا ضد كل خصلة منها
واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التفريط
وضد المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة
تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد
التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق
يحبط العمل والريا يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا
فى الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة فانها
تحبط العمل فى قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة والندامة
والتهاون يخفف العمل فيذهب زيادته قلت فالقبول والرد عند
التحصيل يرجعان الى ضروب من التعظيم والاستخفاف والاحباط
ابطال منافع يكون بالفعل وبسببه شرتا ة يكون ابطال الثواب واخرى
ابطال التضعيف والثواب منفعه يقتضيها الفعل بعينه وقرائنه
واحواله والتضعيف زيادة على هذا والزيادة يحصل بمقتضى
قرائن واحوال الحز كالاحسان الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى
بنى من الانبياء ففى الشئ يكون زيادة ولا يكون تضعيف فهذا تهذيب
ما تحققت فى هذه المعانى فافهم ذلك وبالله التوفيق **فصل**
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف فى
غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات وتحمل
تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من العبادة عزيزة شريفة

فانه

فانه لايخاف على بضاعته تلك الا فى هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر
ان تسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر ان يبدو منها افات تفسد عليه
طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعها هذان المقطعان اللذان هما الرياء
والعجب فلنذكر فى كل واحد منهما اصولا مقتنعة بحدها لك لعلك تكفى
مؤنتها باذن الله تعالى اما الرياء فاذكر لك قول الله الذى خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير كان
الله يقول انى خلقت السموات والارض وما بينهما فى كل هذه الصنايع والبدايع
واكتفيت بنظرك لتعلم انى قادر عالم وانت تصلى ركعتين مع ما فيهما من
المعايب والتقصير فلا يكتفى نظرى اليك وبعلمى وثنائى عليك وشكرى
للحق تحب تعلم الخلق ليمدحوك بدلك ايكون ذلك وفاء ليكون
ذلك عقلا برضاه احد لنفسه ويحك فلا تعقل الاصل الثانى
ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ فى ثمنه الف الف دينار
فباعه بفلس اليس ذلك يكون خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا بينا
على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراى ورقة العقل وما ينال العبد
بعمله من الخلق وثنائه وثوابه لاقل من فلس فى جنب الف الف دينار
بل فى جنب الدنيا وما فيها واكثر الا يكون من الخسران المبين ان يفوت
نفسك تلك الكرامات العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية
ثم ان كان ولا بد لك من هذه الخسيسة فاقصد انت الاخرة تتبعك
الدنيا بلا طلب الرب وحسن يعطيك الدارين اذ هو مالكهما جميعا وذلك
قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطى الاخرة

بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك الاخرة والدنيا
جميعا واذا انت اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة فى الوقت وربما لا تنال
الدنيا كما تريد واذا نلتها فلا يبقى لك فيكون قد خسرت الدنيا والاخرة فتامل
ايتها العاقل الاصل الثالث ان المخلوق الذى لاجله تعمل ورضاه تطلب لو علم
انك تعمل لاجله لابغضك ولسخط عليك واستهانك واستخف بك
فكيف يعمل العاقل لاجل من لو علم انه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه
فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه
بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل
فكفاك هذه هذه فاحفظ لها ان كنت تعقل الاصل الرابع ان من
حصل له سعى يمكن ان يكتسب به رضا اعظم ملك فى الدنيا لو انه يطلب
به رضا كناس حنيس بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة
الراى فى الحظ له ويقال لم ما حاجتك الى رضا هذا الكناس مع امكانك
من رضا الملك فكيف قد سخط الكناس عليك ففاتك الكل هذا حال
المراى فاى حاجة الى رضا مخلوق حقير ضعيف مهين وهو متمكن من
تحصيل رضوان رب العالمين الكافى عن الكل فان ضعف الهمة وكلت
البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد اراده تلك و
تخلص سعيك لله فان القلوب والنواصى بيده هو يميل اليك القلوب
ويجمع لك النفوس ويشرح من حبك الصدور فينال من ذلك ما لا ينال
جهدك وقصدك واذا لم تتفرغ وقصدت بعملك رضا المخلوقين دقت
سبحانه فانه يصرف عنك القلوب وتنفر عنك النفوس وتسخط عليك
الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فينال من

خسرانه

خسران وحرمان ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول والله
لاعبدنّ الله عبادة اذكر بها فكان اوّل داخل المسجد واخر خارج منه
لايراه احد حين الصلوة الا قائما يصلى وصائما لايفطر ويجلس الى حلق الذكر
فنبت كذلك بسبعة اشهر فكان لايمرّ بقوم الا قالوا افضل منه بهذا المرائى
وضع فاقبل على نفسه وقال ارانى فى غير شئ لاجعلن عملى كله لله فلم يزد
على عمله الذى كان يعمل قبل ذلك الّا انه تغيرت نيته الى الخير وكان بعد
ذلك يمرّ الناس فيقولون رحم الله فلانا الآن قد اقبل الى الخير ثم
قرأ الحسن انّ الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا
فاذا يحبّهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل يا مبتغى الحمد
والثنا فى عمل يبتغى المحالا قد خيب الله ذا رياء وابطل السعى والكلالا
من كان يرجو القرب اخلص من خوفه العنا لا الخلد والنار فى يديه
فزايه يعطك النوال والمنا لا يملكون شيئا فكيف رايتهم ضلالا
واما العجب فلنذكر فيه فصولا احدها ان فعل العبد انما صار
لرقيته لما وقع من الله موقع الرضا والقبول والا فترى الاجير يعمل طول
النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب
الصناعات والحرف كل واحد يعمل فى الليل والنهار فيكون قيمة ذلك
دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله تعالى فصمت لله تعالى يوما قال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفى الخبر اعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا
يوسف الذى قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت له هذه القيمة
بتاخير غدائه الى العشاء ولوقت ليلة الله فقد قال الله تعالى فلا تعلم

نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون هذا الذى قيمته درهم
او دانقان صارة لكل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت له تعالى ساعة
تصلى فيه ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله فالله تعالى وعد
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك التى لا قيمة لها عند اهل
الدنيا ولا عندك فكم تضيعها فى لا شئ وكم تمر عليك بلا فائدة صار
لها كل هذا القدر لماذا لما انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدرها
وكثر قيمتها بفضله فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمل وقلة مقداره
من حيث هو وان لا يرى الا منة الله عليه فيما شرف من قدر عمله واعظم
من جزائه وان يحذر فى فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع
فيه موقع الرضا فيذهب عنه القيمة التى حصلت له ويعود الى ما كان فى
الاصل من الثمن الحقير من درهم او دانق واحقر واخس من ذلك
مثاله ان العنقود من العنب والاصبانة من الريحان يكون قيمته فى السوق
دانقا وان اهدى واحد الى الملك فى سماحته وسجحه فوقعت منه فوقع
الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار ما
قيمته حبة الف دينار فاذا لم يرض الملك وردّه عليه رجع الى قيمته
من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه فتبنه وابصر منة الله ومنّ
فعلك عما يشينه عند الله عز وجل والثانى ما تعلم ان الملك

الاصبان
الاصمانه

فى الدنيا اذا اجرى على احد جرايه من طعام او كسوة او درهم او دنانير
معدودة فانية فانه يستخدمه بضروب الخدم انا آناء الليل والنهار
مع ما فى ذلك من الذل والصغار ويقوم على رأسه حتى يخدمه جلاه

ويسمى

وسعي بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول الليل حارسا
وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه التي لا خلف عنها
لاجل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والعز لاجل تلك المنفعة النكدة
الحقيرة معانا بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك فربك
الذي خلقك ولم تكن شيئا ثم ربّاك واحسن التربية ثم انعم عليك من
النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهه فهمك
ووهمك قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك
تقتلي ركعتين مع ما فيها من المعايب والآفات ومع ما وعد عليها في المستقبل
من حسن الثواب وذهاب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب فليس
هذا من شان عاقل اذا نظرت هذه هذه والاصل الثالث ان الملك
الذي من شانه ان يخدمه الملوك والامراء ويقوم على راسه السادات والعظماء
ويتولى خدمته الاولياء والحكماء ويطلب مدحته العلماء والعقلاء ويمشي
بين يديه الاكابر والرؤساء اذا اذن لسوقي بمقتضى رأفته وعنايته له في بابه
حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر والافاضل في خدمته ومدحته
ويجعل له مقاما من حضرته معلوما وينظر الى خدمته بعين الرضا وان
كانت مشوشة معيبة اليس يقال لقد كبرت على هذا الحقير المنة من الملك
وعظمت غايته فان اخذ يمن على الملك بتلك الخدمة المعيبة ويستعظم
ذلك ويعجب به الا يقال انه لسفيه جدا او مجنون لا يعقل شيئا ولما
تقرر هذا فاعلم انه ليس في الوجود سبحانه هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في
السموات والارض طوعا وكرها في الخدمة على بابه جبرئيل الامين وميكائيل

واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر
الملائكة المقربين الذين لا يحصى عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم
الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين حذوه على
بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر
الانبيا والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم
العزيزة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء
الائمة والابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية
الظاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتطاهرة واذل الخدم على بابه
ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون على الاذقان ساجدين يعفرون الوجوه
في التراب خاضعين ويرفعون حوايجهم اليه باكين صارعين ويعترفون
له بالعبودية والنقص ساجدين صاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة و
يقضي لهم بفضله حاجة او يتجاوز عنهم بكرمه وانت مع هذه العظمة و
الجلال والملك والكمال قد اذن لك في حقارتك وعيوبك وانت الذي
لو استاذنت على رئيس بلدك في بعض الايام اذن لك وان كنت امير ناحية
في بعض الايام كلمك وان سجدت لسلطان بلادك بالارض في بعض الايام التفت
اليك اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه ويخاطبه بل تدل
عليه بالمسئلة وبابسط فتستقضي حاجتك وتستكفيه مهماتك
ثم انه يرضى بركعتيك في معابها بل يعدهما الثواب عليها ما لا يخطر
بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك
وتستعظمه ولا ترى منة الله تعالى عليك في ذلك فما اسوأك من رجل
وما اجهلك من انسان والله المستعان واليه المشتكى من هذه النفس

الجاهلة

الجاهلة وعليه التكلان فهذه هذه وعلى جرام الملك العظيم اذا
اذن لادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والروسا والاغنيا
بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة فان
جاء بقال له بباقة بقل او قروى بسلة عنب يساوى دانقا او حبة فيدخل
فى حضرته ويزاحم اولئك الاغنيا والكما بين هداياهم الكبيرة النفيسة وهذا
الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضا ويأثر
له بانفس خلعه وكرامته الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان
اخذ هذا الفقير يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى
منة الملك الا يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ الادب
عظيم الجهل فالآن انك اذا قمت ليلة وصليت ركعات فاذا فرغت
فتفكر كم قام لله سبحانه هذه الليلة من الخدم فى اقطار الارض برها
وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف المستقيمين والصديقين و
الخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت فى هذه
الساعة بباب الله تعالى من عبادة صافية وخدمة خالصة عن انفس
خاشعة والسن ظاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور تقية
وصلوات ان كنت بذلت المجهود فى تحسينها واحكامها واخلاصها
فلا يكاد يصل الحضرة هذا الملك العظيم ولا تبين فى جنب تلك العبادات
التى تعرض هنالك كيف وقد كانت منك عن قلب غافل مختلط
بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع
المعصية والفضول فكيف يصلح هذا لان يحمل الى تلك الحضرة وكيف
تساهل ان يهدى الى رب العزة قال شيخنا انظر ايها العاقل هل

وجهت قط صلوة من صلواتك الى السماء كانت بعثتها الى بيوت الاغنياء
وكان ابو بكر الورّاق يقول ما فرغت من صلوة الا استحييت حين فرغت
منها اشد حياء من امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه
بمحض كرمه وفضله عظم قدر هاتين الركعتين ووعد عليهما من جزيل
الثواب ما وعد وانت عبد في جرأته وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره
ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله تعالى عليك هذا والله اعجب
العجب لا يكاد يذهب مثله الا على جاهل لا فكرة له وغافل لا ذهن له او قلب
ميت خاوٍ لا خير فيه فنعوذ بالله نسأل الله الكفاية بمنّه وفضله

**فصل** ثم اقول بعد هذه الجملة يتيقظ من رقدتك ايها الرجل
في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة اشدّ واشق
وامرّ واضرّ عقبة استقبلتك في هذه الطريق اذ اليها ينتهي عثرة
كل ماضٍ في العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى
فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمر بشر الشان كله انه قد اجتمع
في هذه العقبة ههنا ثلاثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغبن
شديد والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة
خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل بحر في امر الدين بصير
بيقظان القلب واني يطلع عليه الجاهل اللعوب والغافل النؤوم ولقد
سمعت بعض علماء نيسابور يحكي ان عطاء السلمي نسج ثوبا فاحكمه
واحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاستر خصه البزاز وقال
ان فيه عيبا بكيت وكيت فاخذه عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا
فندم الرجل على ذلك وجعل يتعذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد

فقال

فقال له ما ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت
في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض
على البصير بعيوبه اظهر فيها عيوبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه
اذا عرضت غدا على الله كم بيد وفيها من العيوب والنقصان الذي نحن
اليوم عنه غافلون وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر في
عزمة لي شارعا اقرأ سورة طه فلما ان ختمتها اغفيت اغفاءة فرأيت
شخصا نزل من السما بيده صحيفة فنشرها بيدي واذا فيها سورة
طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانني
رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه
الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها
وكتبنا الا انا سمعنا منا ديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا
ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلت ذلك فقالوا مر
رجل فرفعت بها صوتك لاجل هذه هذه واما شدة العجب
فلان الرياء والعجب آفة يقع في لحظه فربما تفسد عليك عبادة
سبعين سنة وحكي ان رجلا اصاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله
هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة
الثانية فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجته
ووجه اخر في العجب ان اقل طاعة سلمت عن هذا العجب والرياء تكون
لها من الله تعالى من القيمة ما لا نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة
بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى بما روي عن علي رضي الله عنه
انه قال لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل متقبل وسئل النخعي عن

على كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان فيمن
كان قبلكم رجل عبد الله سبعين عاما يفطر يوم سبت الى سبت وطلب
الى الله حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال يا نفس اتيت لو كان
عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله عليه وقال يا بن ادم ساعتك
التي ازريت على نفسك خير من عبادة التي مضت قلت فلينظر العاقل
الى هذا الكلام اليس من العجب ان واحدا يكدح ويتعب سبعين سنة واخر
يتفكر ساعة واحدة فيكون فكر ساعة افضل من سبعين سنة وخيرا
ليس من العجب العظيم انك تمكن من ساعة خير من سبعين سنة
ويترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم العجب وان اغفاله لاشد
خسرانا وان الخصلة التي لها هذه القيمة يجب ان يحذر من فواته ويجتنب
ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر اولى الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق
واهتموا بمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا شم رعايتها والتحفظ عنها
ثانيا ولم يغنهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفو لا في
الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خزفة واما الذين قل علمهم
وكمل في هذا الباب نظرهم جعلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من
العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن
الطعام والشراب وحسن فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما في المخ والصفو
وما تغني عدد الجوز والاتب فيها وما ينفع رفع الشعوف ولم يحكم مبانيها
وما يعقل هذه الحقايق الا العالمون بالله المكاشفون والله ولي الهداية
بفضله واما عظم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله وعظمته
وله عليك نعم ولا تعد ولا تحصى وبدن عجيب بعيوب خفية معروف

بافات

بافات كثيرة وامر مخوف اه وقع ذلك مع تشارع النفس اليه فيحتاج ان
يستخرج عملا صافيا سالما من بدن معيب ونفس ميالة الى الشر امارة بالسوء
على وجه يصلح لرب العالمين فى جلاله وعظمته وكثرة ايادية ومننه ويقع
موقع الرضا والقبول والا يفوتك الزع العظيم الذى لا تسمح النفس بفوته
بل ربما يصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا والله شان عظيم
وخطب جسيم امام جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار
قايمون له بالخدمة اناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى
فى قيام ومنهم من هو فى ركوع ومنهم من هو فى سجود ومنهم من هو فى
تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده
ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من
هذه الخدمة العظيمة قالوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
وهذا سيد المرسلين وخير العالمين واعلم الخلق وافضلهم محمد صلى
الله عليه وسلم يقول لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول
انا لا اقدر اثنى عليك ثناء انت له اهل فضلا عن ان اعبدك كما انت له
اهل هو الذى يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته واما النعم والايادى
فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روى انه يحشر الناس
يوم القيمة على ثلثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات و
الذنوب فالله تعالى يعفو فيها المشيئة واما عيوب النفس وافاتها فقد قدمناها
فى بابها والامر المخوف اه العبد يكدح ويذاب سبعين سنة غافلا عن
عيوبه وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب اعواما فتفسد

بساعة واحدة واعظم حظرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو
يرائى الناس بعبادته وحدته جعل ظاهره لله وقلبه وباطنه للخلق
فيطرده طرد الامرد لم والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلماء يحكى عن
الحسن البصرى انه رؤى فى المنام فسئل عن حاله فقال اقامنى الله بين يديه
وقال يا حسن اتذكر يوما كنت تصلى فى المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت حسنا لصلوتك فلولا ان صلوتك كان لى خالصا لطردتك اليوم
من بابى ولقطعتك عنى مرة واحدة ولما كان الامر فى الجملة من الدقة
والصعوبة الى حد عظيم نظر اولوا الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى
ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكى عن رابعة
قال ما ظهر من اعمالى لا اعد شيئا وقال اخزاكم حسناتكم كما تكم سيئاتكم
واخرى ان امكنك ان تجعل لك جنينا من الخير فافعل ولقد حكى انه
قال لرابعة بسم تتجبين اكثر ما تتجبين قالت يا ياسى من جل عملى
وحكى انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة او النار
فقال محمد بن واسع اما رحمه او النار فقال مالك ما احوجنى الى علمك
مثلك وعن ابا يزيد البسطامى قال كابدت العبادة ثلاثين سنة فرايت
قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوة من العبادة ان اردت الوصول اليه
فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاد ابا الحسن يحكى عن الاستاد
ابى الفضل انه كان يقول انى اعلم ان ما اعمله من الطاعات غير مقبول عند الله
تعالى فقيل له فى ذلك فاجاب انى اعلم ما يحتاج اليه من الفعل حتى يكون
مقبولا وانى لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبول فيتلذ فلم تفعلها
قال عسى ان يصلحنى الله يوما فتكون النفس معودة لعمل الخير فلا احتاج ان

اعودها

الجود هاذلك من الراس فهذه حال هؤلاء الاعلام ودوى المجاهدات
والاحظار فاطلب لنفسك صحبة من غيرهم وقع الاياس وخابت الآمال
هيهات تدرك بالتوانى سادة كدو النفوس وساعد الاقبال ثم راى
ان اثبت هاهنا الخبر المانور عن الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم وقد
ذكرناه فى غير كتاب روى ابن المبارك عن رجل هو خالد بن معدان انه
قال لمعاذ رضى الله عنه حدثنى حديثا سمعته من رسول الله حفظته
وذكرته فى كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء طويلا ثم قال
واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه بينما انا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ ركب وارد فنى ثم سرنا فرفع بصره الى السما وقال الحمد لله
الذى يقضى فى خلقه ما يشاء يا سعاد قلت لبيك يا سيد المرسلين قال
احدثك بحديث ان حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت حجتك عند الله
يا سعاد ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سما ملكا
وجعل على كل باب من ابواب السما ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فيصعد
الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السما الدنيا
والحفظة يستكثرون عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرنى ربى ان لا ادع عمل من يغتاب
الناس يتجاوز الى ربى فتلعنه الملائكة حتى تنتهى الى العرش فيكتب الحفظة
الناس يتجاوز الى ربى فتلعنه الملائكة حتى تنتهى الى العرش فيكتب الحفظة
الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا الى سما الثانية قال الملك قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه هذا اراد به عرض الدنيا وامرنى ربى ان لا ادع
عمله يتجاوز الى غيرى فتلعنه الملائكة حتى تنتهى الى السما السابعة
العبد متهجدا فيه صدقة وصيام وكثير من البر فيكتب الحفظة وتزكيه

فاذا انتهوا الى السما الثالثة قال الملك الموكل بها قفوا وامزبوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله الى عيسى انه
كان يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما تزهر
النجوم الثوابت لها دوي وتسبيح بصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى
السما الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا وامزبوا بهذا العمل وجه صاحبه انا
الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز الى عيسى انه كان اذا
عمل عملا اوه دخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد تزف كما يزف العروس
الى اهلها حتى انا انتهوا الى السما الخامسة بذلك العمل من جهاد وحج له ضوء كضوء
الشمس فتقول الملائكة انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على
ما اتيهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز
الى عيسى وتصعد الملائكة بعمل العبد بوضوء تام وصلوة كثيرة وصيام
وحج وعمرة يتجاوز به الى السما السادسة فتقول الملك الموكل بالباب انا
صاحب الرحمة امرني بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا
وان اصيب عبد شمت به امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز الى عيسى
وتصعد الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلوة وجهاد
وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السما
السابعة يقول الملك الموكل بالسما انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل
اراد به الذكر في المجالسة والرفعة عند القرا والجاه عند الكبرا امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوز الى عيسى وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل
الله عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج
وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى ويشيعه ملائكة السموات

السبع

السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله
وليشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل
عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه انه لم يرد بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا
اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الادميين وغركم ولم يغرني وانا علام الغيوب
المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافيه ولا يعزب عني عازبه علمي بما كان كعلمي
بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالاخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي
بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي و
تقول الملائكة السبعة والثلاثون الاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك
ولعنتنا فتقول اهل السما عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكا معاذ و
انتحب بكا شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت قال يا معاذ
اقتد بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف
لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك تقصير فاقطع لسانك
عن الوقيعة في الناس بما تعلم من عيب نفسك ولا تزك نفسك بوضع
اخوانك ولا تراء بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا
ينيسك امر الاخرة ولا تتاجر رجلا وعزك اخر ولا تتعظم على الناس
فينقطع عنك خيرات الدنيا والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك
من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم فقوله
والناشطات نشطا يقود تنزع اللحم عن العظام قلت يا رسول الله من
يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك يسير على من يسر
الله عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره
لهم ما تكره لنفسك فانا انت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان معاذ

لا يكون من تلاوة القرآن كما يكون من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجلسه فلما
سمعت ايتها الرجل بهذا الحديث العظيم بناءه الكبير خطره الاليم واثره الذي
تنظيره القلوب وتحاره العقول تضيق عن حمله الصدور وتجزع من
هوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال
والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لا ينجو
من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظرة وعنايته فتنبه من
رقدة الغافلين واعقل الامر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة
لعلك لا تهلك مع الهالكين والله المستعان على كل حال فانه خير معين
والله تعالى ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل**
وجملة الامر انك اذا احسنت النظر فرأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت
عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا يلتفت اليهم بقلبك وكن زاهدا في
ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته ولا ترد بطاعتك شيئا
من ذلك ورأيت خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا ترد بها ايضا
بطاعتك من الله تعالى ويقول يا نفس اثناء رب العالمين وشكره واعزازه
خير او ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر علك
بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما
يفضلون عليك من هو دونك حالا بالف درجة ويضيعونك في اكثر
الاوقات وينسونك وان لم يفعلوا ذلك فماذا عسى ان يكون بيدهم والى
ما ذا يبلغ قدرهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم كيف يشاء والى من يشاء
فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة بهم ولا يفوتك ثناء من
ثناؤه كل فخر وعطاؤه من عطاء كل ذخر ولقد صدق القائل سها العيون

ليغر

لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير قطعك ضايع وقد يا نفس اجنة
الخلد خير ام لطخة من خطام الدنيا وحرامها النكد الفاني وانت متمكنة
من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني حشيته الهمة
رديئة الارادة ودنية الافعال اما ترين الحمام اذا كان سماويا كيف يعلو قيمته
ويرداد قدره فارفعي همتك كلها الى السما وجردي قلبك لله الواحد
الذي بيده الامر كله ولا تضيعي ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء وكذلك
اذا احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومنه العظام عليك في هذه
الطاعة بان امكنك منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح العوايق حتى تفرغت
لهذه الطاعة ثانيا ثم حضك بالتوفيق والتاييد ويسرها عليك
ورتبها في قلبك حتى عملتها ثالثا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه
عنك وعن طاعتك وعن كثرة نعمه عليك اعدك على هذا العمل
اليسير الشنا الجزيل والثواب العظيم الذي لا تستحقر ربما ثم شكرك
على ذلك واثنى عليك واحبك بذلك خامسا فهذه كلها بفضله العظيم
لا بعز والا فمتى استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري
ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه
الطاعة واستحي من ان تلتفتي الى عملك بل الفضل والمنة لله تعالى علينا
بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال
الى الله تعالى بان يتقبلها اما تسمعين قول خليله ابراهيم عليه السلام لما
فرغ من حزمته في بنا بيته كيف ابتهل الى الله في ان يتفضل عليه بالقبول
فقال تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعائه قال ربنا
وتقبل دعائي فلئن من عليك بقبول هذه الطاعة المزجاة فلقد

اكمل المنة واعظم النعمة وبالك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تزيد
لذلك من خلعة ونعمة وذخر وكرامة وان تكن الاخرى فبالك من
خسران وغبن وحرمان فاهتم واشتغل بهذا الشان واذا واظبت
على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله
صرفك عن الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن مراياة واعجاب
وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة
الله عليك في جميع الحالات وارجوان تحصل لك طاعات ظاهرة
لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها
بل مثل هذه الطاعة وان حصلت في العمر مرة واحدة مثلا لا عيز فانها
بالحقيقة لكثيرة لعمر انها وان قل عددها لقد كثر معناها وعظم قدرها
وكثر نفعها وطاب عقباها والتوفيق لمثلها عزيز والفضل لله تعالى
على العبد كبير واي هدية اجل من هدية يقبلها رب العالمين واي
سعي اكرم من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين فتامل ايقاك
المسكين واياك ان تكون من المغبونين واذا جرى الامر على هذه الجملة كنت
من المخلصين لله تعالى الخالصين الذاكرين لمنته وكنت قد خلفت هذه
العقبة وسلمت من افاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فانز على الابد بكرامتها
وسعاداتها والله تعالى ولي التوفيق والعصمة بفضله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم **الباب الثامن السابع في العقبة السابعة وهي عقبة**
**الحمد والشكر** عليك وفقك الله واياانا بحسن توفيقه بعد قطع هذه
العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة من الافات بالحمد والشكر
على هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما

لدوام

لدوام النعمة والثانى لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر
قيد النعم به تدوم وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قايل فكفرت بانعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان النعم اوابد كاوابد الوحوش فقيدوها
بالشكر واما حصول الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة هو من
الزيادة قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال والذين اهتدوا زادهم
هدى وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالسيد الحكيم اذا
راى العبد قد قام بحق النعمة يمن عليه باخرى ويراه اهلا لها والا فيقطع
ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية وتروى دينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع
ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان الخلقة
السوية فى سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس
والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار
احدها فى النفس بان سلمك من زمانتها وسائر افاتها وعللها والثانية
دفع ما يلحقك من ضرر من انواع العوايق او يقصدك بسوء من انس او جن
او سباع وهوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق
ونعمة العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة
ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة
ثم عن سايرالمعاصى وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذى انعم
عليك قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه
النعمة كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها فى كل باب منها

مالا يبلغه وهمك كلها يتعلق بشئ واحد وهو الشكر والحمد لله تعالى ان
خصك بكل هذه الفتيه ويكون لها كل هذه الفائدة لحقيق ان يتمسك
بها من غير اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيميا عزيز والله ولي التوفيق
فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر ومعناها وحكمها فاعلم ان
العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد اشكال التسبيح
والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض
فيكون من المساعي الباطنة لان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان
الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على المحمود بالفضل
الحسن هذا مقتضى كلام شيخنا واما الشكر تكلموا في معناه واكثروا فمن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب
العالمين في السر والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر
هو اداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم يرجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا
وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اختيار معاصي الله تعالى تحترس
على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله بشئ من هذه الثلثة
بوجه من الوجوه والفرق بيني وبين قول الشيخ الاول ان جعل
الاحتراس معنى مشتملا زايدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب
عن المعصية ما هو الا ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه
معنى محصل يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما وقال شيخنا
ان الشكر يقظ للنعم على مقابلة نعمته على حد يفه عن جفا المنعم
وكفرانه ولو قلت يقظ المحسن على مقابلة احسانه لنصح ان يكون

من الله

من الله الشكر للعبد فحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء
علوم الدين وغيره ولكن التحصيل انه الشكر من العبد تعظيم ينبع من جفا
من احسن اليه وذلك بتذكر لحسانه وهو حال الشاكر في شكره وقبح حال
الكافر في كفرانه قلت اه اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها
الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعم المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذن
من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله ما يحول بينه وبين
معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه
ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق
النعمة فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما
موضع الشكر فاعلم ان موضعه الذم دينيه او دنيويه على اقدارها واما
الشدايد والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك هل
يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد عليها من حيث هي وانما
يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفي جنبها
نعم الله فتلزم الشكر على تلك النعم المقترنة به دون نفس الشدة وتلك النعم
ما قاله عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علي فيها اربع
نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا
واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة
نائلة غير دانية وانها من الله تعالى دون غير الله وان كان بسبب
مخلوق فانه لك عليه لا له عليك فاذن يلزم العبد الشكر على النعم
المقترنة بالشدة وقال آخرون وهو الاولى عند شيخنا ان شدائد الدنيا
مما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدائد نعم على الحقيقة بدليل انها

تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة فى العاقبة
مثلا شئ فى حنبها مشقة هذه الشدائد واية نعمة يكون اكثر من
هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها من ذا شديد ويفصدك
ويحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدى ذلك الى صحة النفس وسلامة
البدن وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد
والحجامة نعمة بالغة فى الحقيقة ومنة ظاهرة وان كان فى صورة مكروها
ينفر عنه الطبع وتستوحش منه النفس وانت تعلم الذى تولى منك هذا بل
تحسن اليه ما امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد اما ترى النبى صلى الله عليه
وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدائد شكره على المسار حيث قال الحمد
لله على ما سئا وسر اما ترى كيف يقول جل جلاله فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله تعالى خيرا هو اكثر مما يبلغه
وهمك بتوكيد هذا القول ان النعمة ليست خبرا عن اللذة وما تشتهيه
النفس بمقتضى الطبع وانما هو يزيد فى رفعة الدرجات ولذلك يسمى
نعمة من معنى الزيادة واذا كانت الشدة مما يصير سببا فى زيادة شرف
العبد ورفعة درجته فيكون نعما بالحقيقة وان كان يعد فى الشدائد
والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر
فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور
وجعلهم خلص الخواص وقال فى نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا
وقال تعالى فى ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه فى منزلة الانعام
والعافية ولذلك قيل لاه انعم فاشكر احب الى من ان ابتلى فاصبر
وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع

منزلة

منزله قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت انا الشاكر
بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر
في دار المحنة لا يخلو من محنة فيصير عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم
المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة
لما ذكرنا ان الشدايد نعم بالحقيقة على المعنى المقدم فانه شكر في الحقيقة
اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه
اذ هو تعظيم بمنع غير العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران
وصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا
على الحقيقة والصابر عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه
وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس
النفس عن الكفران مع قصد النفس شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق
الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان
البصيرة الباعثة عليها واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا
فمن هذه الوجوه قلنا ان لحدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة
وبالله التوفيق **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع
هذه العقبة العسيرة المؤنة الكبيرة الجليلة العزيزة العسر العظيمة
القدر وتامل اصليها احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها وانما
يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله تعالى في الحكاية عن الكفار والرد
عليهم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
ظن اولئك الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون

اكثرهم لا واشرف حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء بزعمكم من العبيد
والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا فقالوا على سبيل
الاستكبار ومجرد الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم
الله بهذه النكتة الزاهرة فقال تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير
الكلام ان السيد الحكيم انما يعطى نعمته من يعرف قدرها وانما يعرف
قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبأ بما
يحتمل من اعباء المؤنة فى تحصيلها ثم لا يزال قايما بالباب يؤدى شكرها
وكان فى علمنا السابق ان هؤلاء الضعفا يعرفون هذه النعمة ويقومون
بشكرها فكانوا اولى بهذه النعم منكم فلا اعتبار بغناكم وجاهكم
وثروتكم فى الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم فى الانساب ولا حسبكم
انما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلو الاذن
والحق وبعزيته وانما يعظمون ذلك وتفاخرون به اما ترون انكم لا
تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والحق الا بمنة على من ايتكم به ولا تستحقاركم
ذلك وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفا يقتلون انفسهم على ذلك و
يبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم ومن عاداهم مع ذلك لتعلموا انهم
هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ودسخ فى قلوبهم تعظيما وهان عليهم
فوق كل شئ دونها وطاب لهم احتمال كل شدة يستغرقون جميع العمر فى
شكرها فكذلك استاهلوا هذه المنة الكريمة والنعمة فى سابق علمنا و
خصصناهم بها دونكم فهذه هذه ثم اقول وكذلك كل فريق من الناس
خصهم الله تعالى بنمط من نعم الدين علما او عبادة فانك تجدهم بالحقيقة
اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما واجدهم فى تحصيلها واعظمهم

فی اکرامها واقوم بشکرها والذین حرمتهم ذلک فلقلة حفظهم وتعظیمهم
لحقها بعد القدر السابق فلو کان تعظیم العلم والعبادة فی قلوب السوقة
والعامة مثل ما هو فی قلوب العلماء والمتعبدین لما اتزوا سوقهم علیه وهان
علیهم ترکها الا لمن لا فقیها او ناظرا یتعلم مسئلة کانت ملتبسة علیه کیف یرتاح
قلبه ویعظم سروره ویجل موقعه من قلبه حتی ربما لو وجد الف دینار ربما کان
یعدل ذلک وربما یهمه امر مسئلة فی باب الدین فیتفکر سنة بل عشر ابل
عشرین واکثر لا یستکثر ذلک ولا یمل حتی یرزقه الله فهم ذلک فنعمة
اعظم منه واکبر نعمه ویری نفسه بذلک اغنی کل غنی واشرف کل شریف
ثم ربما یتبین مثل هذه المسئلة لسوقی او متعلم کسلان یری من نفسه انه
مثله فی الرغبة فی العلم والمحبة لله تعالی ولا یستمع لحقه وربما ان طال علیه
الکلام ملّ ونام واه یتبین ذلک فلا یعد ذلک کبیر امر وکذلک المنیب الی
الله تعالی کم یجتهد ویرتاب بالریاضة وصیانة النفس عن الشهوات واللذات
والتمام الارکان فی الحرکات والسکنات عسی ان یتم الله له رکعتین فی ادب
وطهارة وکم یتضرع الی الله تعالی عسی ان یرزقه ساعة مناجاة بصفو
وحلاوة فلئن ظفر بذلک فی شهر مرة بل فی سنة مرة بل فی عمر کله مرة عد
ذلک اکبر نعمه واعظم نعمه وکم یسیر وکم یشکر الله تعالی ولا یکثر بما
قاساه من المشقات وکابده من سهر اللیالی وهجر من اللذات فیها تری
الذی عرفه راغبا فی العبادة بحیث لو حصل له شیء منها لو احتاج احدهم
فی تحصیل مثل هذه الصافیة الی مفقاس لقمه فی عشائهم او ترک کلمة لا یعینهم
او دفع نوم ساعة عن اعینهم فلا یسمح انفسهم بذلک ولا تطیب قلوبهم
فان اتفق لهم فی النادر حصول عبادة فی صفو فلا یعدونه خطیرا

ولا يقدمون فيه كبير شكر أنما يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر حمدهم اذا حصل
لهم درهم واستفادوا كسرة اوطابت لهم مرقة اوطالت لهم في سلامة البدن
روحة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فاني يساوي هؤلاء
الغافلون العاجزون أولئك السعداء المجدين المجتهدين ولذلك صار
هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك المؤيدون به ظاهرين
فايزين وكذلك قسم الارزاق حكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم بالعالمين
هذا تفصيل قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم وراعه حقه
واعلم انك لن تحرم قط خيرا انت تتمناه الا من قبل النفس فابذل مجهودك
لتعرف قدر نعمه الله تعالى وعظمها حق تعظيمها فتكون اهلا لها ولاعطائها
ثم يمن عليك ببقائها امن عليك بابتدائها على ما نذكره في الاصل الثاني انه
الرؤف الرحيم الاصل الثاني ان النعمة انما تسلب من لا يعرف قدرها
والذي لا يعرف قدرها الكفور الذي كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك
قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الشيطان فكان من
الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الاية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد
بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين ومكناه بذلك من تحصيل
الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر
كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة واثر شهوة
نفسه الدنيه الردية وما يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله ادنى نعمة
من نعم الدين بل جناح بعوضة فكان ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف
الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة والمنا الكرامة كلها
عنده في كسرة تطعم او عرق مادة ترمى اليه سواء يقعده على سرير ملك

او يقعده

فنادوا الاصيرانا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا ان ابراهيم بن ادهم كان على
ماكان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذا الطريق فلم تكن
الا مقدار سير من بلخ الى مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى الرجل سقط
من القنطرة في الماء الكثير هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهوى فتخلص
وان رابعة البصرية كانت امة كبيرة يطلق بها في سوق البصرة لا يرغب فيها
احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها فاختارت
هذا الطريق واقبلت على العبادة فاقامت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة
وقرأها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم يبق لها العناية ولم
يعامل بالفضل فيكله الى نفسه فزمانا يبقى في شعب من عقبة واحدة
سنة ولا يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله او عسر
هذا الامر واعضله فان الشان كله في اصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم
العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا
او كلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادر من سرادق
الجلال ان الزم الادب واعرف ستر الربوبية فانه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون قلت انا ومثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة في
عقباتها ومشاقها ومقاطعها واختلاف احوال الخلائق فيها فمنهم
من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف واخر
كالفرس الجواد واخر كالطاير واخر يمشي واخر يزحف حتى يصير
فحمة واخر يوخذ بكلاليب يطرح في جهنم فكذلك حال هذا الطريق
مع سالكيها في الدنيا فهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فصراط
الاخرة للانفس يراه ولها اهل البصائر وصراط الدنيا للقلوب يرى

احوالها ذو البصائر والالباب وانما اختلفت الاحوال للسالكين في الاخرة لاختلاف
احوالهم في الدنيا فتامل في ذلك حقق فذه هذه **فصل** ثم اعلم
ما هو التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق في طوله وقصر
مثل المسافات الكائنة التي يسلكها الانفس فيقطعها بالاقدام فيقع قطعها
على قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني يسلكه القلوب فيقطعه
بالافكار على حسب العقايد والبصاير اصلها نور سماوي ونظر الهي
يقع في قلب العبد بنظرة فيرى بها امر الدين بالحقيقة ثم هذا
النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثر له وذلك بخطائه في الطلب
وتقصير في الاجتهاد وجهد بطريق ذلك واخر يجده في خمسين واخر
في عشر واخر في يوم واخر في ساعة ولحظة بعناية رب العزة وهو تعالى
ولي الهداية بفضله لكن العبد مامور بالاجتهاد فعليه بما امر والامر مقسوم
مقدر والرب حكم عدل يفعل ما يشاء ويريد فان قلت فما اعظم هذا
الخطر واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف فكل هذا
العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا فاقول انك صادق في
قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما ولذلك
قال سيد المرسلين لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روى
ان المنادي ينادي من السماليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا
علموا لماذا خلقوا وكذلك يقول السلف ذلك فعمر ابي بكر رضي الله عنه قال
وددت اني كنت حفراء تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه

انه سمع انسانا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا قال ليتها تمت وقال ابو عبيدة وددت اني كنت كبشا لاهلي
فيتفرق لحمي ويتحسى مرقي ولم اخلق وعن وهب بن منبه خلق ابن ادم
احمق لولا حمقه لما هنا عيش وعن الفضيل انه لا اعبط ملكا مقربا ولا
نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيمة انما اعبط من لم
يخلق وعن عطاء السلمي لوان نارا او قدت فقيل من القى نفسه فيها
صادا لا شئ لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذن ايها
الرجل شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في
العلم القديم وتدبير اجراء العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود
في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دايما الى الله تعالى عسى ان يرحمه الله
فيسلم بفضله واما قولك كل هذا لماذا هذا كلام يدل منك على غفلة
عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف
ماذا فطلب العبد الضعيف اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة
في الدارين والثاني الملك في الدارين اما السلامة فان الدنيا وفتنتها
وغوايلها بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون ولقد سمعت حديث
هاروت وماروت حتى روى انه اذا عرج بروح العبد الى السما يقول
ملائكة السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها حيارنا
وان الاخرة في اهوالها وشدائدها بحيث يصرح فيها الانبيا والرسل
نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى روى انه لو كان للرجل عمل سبعين
نبيا لظن انه لا يخوا في ارادان يسلم من فتن هذه فيخرج منها
بالاسلام سالما لا يصيبه فتنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سالما

لا يصيبه بكبة لا يكون ذلك اسراهيثا واما الملك والكرامة فان الملك نفاذ
التصرف والمضاء وان ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله واصفيائه الراضيت
بقضائه البر والبحر والارض لهم قدم والجو والمور لهم ذهب وفضة والجن
والانس والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيئا الا وهو كائن لانهم
لا يشاؤن الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق ويهابهم
كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من دون الله واين
الملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل واما ملك الاخرة
فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم مما يقول
فيه رب العزة جل جلاله انه ملك كبير وانك تعلم ان الدنيا باسرها
قليلة وان بقاها من اولها الى اخرها قليل ونصيب احدنا من هذا القليل
قليل ثم الواحد منا قد يبدل ماله وروحه حتى دمه ما ظفر بعقد قليل من هذا
القليل في بقاء قليل وان حصل ذلك بعذاب بل بتبسط ولا يستكثر ما
بذله فيه من المال والنفس بخو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم المقيم الخالد ايستكثر مع ذلك
ان يصلي ركعتين لله عز وجل او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان
له الف الف نفس والف الف روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل
ذلك كله في هذا المطلوب العزيز كان ذلك قليلا ولئن ظفر بعد بما
طلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه كبيرا فتبينه ايها
المسكين من رقدة الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله تعالى العبد اذا

اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجدنا على الجملة ان جميع
كرامته وخلعه عشرون منها فى الدنيا وعشرون فى العقبى امّا التى فى الدنيا فا
الاولى ان يذكره الله ويثنى عليه واكرم بعبد يكون ربّ العزة جل جلاله
فى ذكره وثنائه والثانية ان يتذكر جل جلاله وبعظمه ولو تذكر مخلوق
ضعيف مثلك وعظمك لشرفت به فكيف بآلاء الاولين والآخرين الثالثة
انه يحبّه ولو احبك رئيس محلّة او امير بلدة لافتخرت بذلك واشفعت به
فى مواطن عزيزة فكيف بمحبة ربّ العالمين الرابعة ان يكون له وكيلا
يدبّر الامور والخامسة ان يكون له رزقه كفيلا يوجّه اليه من حلال الى حارس
غير تعب او وبال السادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدوّ ويدفع عنه
كل قاصد بسوء السابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف
التغيّر والاستبدال الثامنة عزّ النفس فلا يلحقه ذلّ خدمة الدنيا واهلها
بل لا يرضى له يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها التاسعة رفعة الهمّة فيترفع عن
التلطّخ بمقاذير الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها رفع الرجال
الالبّاء عن ملاعب الصبيان والسنوات العاشرة غنى القلب فيكون اغنى
من كل غنىّ فى الدنيا لا يزال طيّب النفس فسيح الصدر لا يفزعه حدث ولا
يهمّه عدم الحادية عشر نور القلب فيهتدى بنور قلبه الى علوم
واسرار وحكم لا يهتدى اليها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد الثانية
عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا لشئ من محن الدنيا ومصائبها
وموت الناس ومكائدهم الثالث عشر المهابة والوقع فى النفوس يحترمه
الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبّار الرابعة عشر المحبّة فى القلوب
يجعل له الرحمن وتراه افئدة القلوب كلها محبولة على حبّه والنفوس كلها

مطبوعة على تعظيمه واكرامه الخامسة عشر البركة العامة في كل شئ من كلام
او نفس او عمل او ثوب او مكان حتى يتبرك بتراب وطئه ومكان جلس
فيه يوما وباستلام صحبته وراه حينا والسادسة عشر تسخير الارض
من البر او البحر حتى ان شاء سار في الهوا او مشى على الماء او قطع وجه الارض باقل
من ساعة السابعة عشر تسخير الحيوان لهم من السباع والوحوش والهوام وغيرها
فتجتنب الوحوش وتتصبص الاسود الثامنة عشر ملك مفاتيح الارض فحيث
ما يضرب يده فله كنز ان اراد وحيث ما يضرب برجله فله عين ان احتاج واين
ما نزل فله مائدة تحضر ان قصد التاسعة عشر القيادة والوجاهة على
باب رب العزة جل جلاله فتبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بجذبته وتسبيح
الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته العشرون لجابة الدعوة من الله تعالى
فلا يسأل الله شيئا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو اقسم على الله تعالى
لابره بان شاء حتى ان منهم من لو شاء الى جبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان
ولو حظر بباله شئ لحصل فلا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات الدنيا
واما التي في العقبى فالحادية والعشرون ان يهون عليه سكرات الموت
وهي التي وجلت منها قلوب الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم حتى سالوا الله
ان يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال
للظمأه قال تعالى الذين يتوفاهم الملائكة طيبين الثانية والعشرون التثبت
على المعرفة والايمان وهو الذي عنه كل الخوف والفزع وعليه البكاء والجزع
قال عز من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الثالثة والعشرون
ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان قال تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف مما يقدم عليه في العقبى ولا

يجزى على ما خلفه فى الدنيا الرابعة والعشرون الخلود فى الجنان الخامسة
والعشرون الجلوة فى السر لوجهه على بلا نكد الشهوات بالاكرام والالطاف
والانعام وليذته فى العلانية بتعظيم جنانه والمزاحمة عليه والمبادرة الى
تجهيزه يرجون بذلك اكبر ثواب وبعده نا اعظم غنم السادسة والعشرون
الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيامن ذلك الهول السابعة
والعشرون توسيع القبر وتنويره فيكون فى روضة من رياض الجنة الى يوم
القيمة الثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها فيجعل فى اجواف
طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله من فضله
التاسعة والعشرون الحشر فى العز والكرامة من حلل وتاج وبراق الثلثون
بياض الوجه ونوره قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
الحادية والثلثون اللبن من اهوال القيمة امن يأتى امنا يوم القيمة
الثانية والثلثون الكتاب باليمين ومنهم من كفى الكتاب رأسا الثالثة
والثلثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا الرابعة والثلثون
ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن الخامسة والثلثون ورود الحوض
على النبى صلى الله عليه وسلم فيشرب شربة لا يظمأ بعدها ابدا السادسة والثلثون
جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها
وتحمد له النار السابعة والثلثون الشفاعة فى عرصة القيمة بخواص
شفاعته الانبياء والرسل الثامنة والثلثون ملك الابد فى الجنة التاسعة
والثلثون الرضوان الاكبر الاربعون لقاء رب العالمين آه الاولين
والاخرين بلا كيف جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب
فهمى وبلغ علمى فى قصوره ونقصه ومع ذلك فقد اجملت واوجزت

وذكرت الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى ان
جملت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت عن اربعين خلعة
من نوع الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل
لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذى هو خالقها ومالكها واى مطمع لنا
فى معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة
اعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسر يقول فى قوله تعالى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى انه هذه هى الكلمات التى يقول الله
لاهل الجنة بالطف والاكرام وما يكون هذه حاله فانى يبلغ جزء
من الف الف جزء منه وهم بشر ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت
الهمم وتقاصرت دونه العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء
العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم الا فليعمل
العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب وليعلموا ان ذلك
كله لا قل قليل فى جنب ما هم اليه محتاجون ايا ما يطلبون وله يتعرضون وليعلموا
ان العبد لا بد له فى الجملة من اربعة العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم
اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يتعلم العلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل
والا فهو معيوب ثم لا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد اللمان والا
فهو مغرور ولقد صدق ذو النون حيث قال الخلق كلهم موتى
الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم مغترون
الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قلت انا والعجب كل العجب من
اربعة احدها من غافل يعز عالما ليا له ثم لمعرفة ما هو بين يديه اما

يتعرف

يتعرف ما هو مطلع بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلايل والعبر والاستماع الى
هذه الايات والنذر والايزعاج لهذه الخواطر والهواجس في النفس قال الله اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وقال تعالى انظروا اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم الثاني من عالم غير عامل لما يتفكر بالعلم يقينا فيما بين
يديه من الاهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو النبأ العظيم الذي انتم
عنه معرضون الثالث من عامل غير مخلص الا يتامل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الرابع من مخلص غير خائف
الا ينظر الى معاملاته جل جلاله مع اصفيائه واوليائه حتى يقود اكرم الخلق
عليه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك الايات ونحوها حتى كان صلى الله عليه وسلم
يقول شيبتني هود واخواتها ثم جملة الامر بتفصيله ما قاله رب العالمين
في اربع ايات من الكتاب العزيز قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال جل من قائل والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الكل فقال وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل
به القدم وجرى به القلم ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم بدين الله
مع التقصير ومن كل من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره من كل خطرة
دعتنا الى تصنع وتزين مما سطرناه او كلام نظمناه او علم اودعناه ونسئله
ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه مريدين وان لا
يجعلنا وبالاعلينا ويضع في ميزان الصالحات انا ردت اعمالنا اليه انه جواد
كريم هذا ما اوردنا ان نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الحرة وقد وفق

بالمقصود والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى

الله على خير خلقه دعا الى افضل معبود محمد

النبى واله وسلم تسليما الى يوم الدين تم

كتاب منهاج العابدين الى الجنة من تصنيف

الامام السعيد حجة الاسلام ابى حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالى

برد الله مضجعه ولله الحمد

والمنة امين

199

200